٦١

السراج المنير

العارف بالله تعالى

الشيخ فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة

الكتاب	السراج المنير
المؤلف	العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	١٥ رمضان ١٤٣١هـ، ٢٥ أغسطس ٢٠١٠م
عددالصفحات	١٢٨ صفحة
المقاس	١٥ سم * ٢١ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون
ورق غلاف	كوشيه لميع ٢٥٠ جرام
طباعة غلاف	٤ لون، سلوفان لميع
تحت إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، المعادى، القاهرة، ج م ع، ت: ٠٠٢٠٢٥٢٥٢١٤٠
طبع	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلى	٢٠١٠/١٥٢٢٥
ترقيم دولى	ISBN: ٩٧٧-١٧-٩٢٨٨-١

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلى الأعلى، جعل سرَّ الكنز:

{ كنتُ كنزاً مخفيّاً فاحببتُ ان أعرف }.وغيَّب الرمز: **{ فبى عرفونى }**[1] لمن جعله لذاته مجلَى، سيدنا محمد صاحب المقام الأعلى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ [النجم:٩] والنور الأزهى: ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٦] .

صلى الله عليه وعلى آله الذين هم بنوره يتصلون، وأصحابه الذين هم به يقتدون، وكل من انشغل بضياء ذاته وبهىّ صفاته وجَلىّ تشريعاته إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .... آمين يارب العالمين .. وبعد ...

فإن الحديث عن الرسول الحبيب له لذَّةٌ ونشوةٌ فى قلب كلِّ عبد من ربه قريب، لا سيَّما لو كان الحديث حول المعانى القرآنية للآيات التى وصف بها الله ﷻ خير البرية ... فلقد وصف الله ﷻ بذاته حبيبه ومصطفاه لعلمه ﷻ بعجز الخلق جميعاً عن الإحاطة ببعض هباته، أو الإلمام ولو بذَّرة من جميل عطاءاته التى تفضَّل بها على خير مخلوقاته ...

ولما كنا نحرص دائماً على إحياء ليالى ذكرى ميلاده ﷺ بذكر فضائله وبيان شمائله التى خصه الله ﷻ بها، وكذا تذكير الأُمة بالكمالات والخصوصيات التى منحها لها الله – خصوصية من بين جميع الأمم السابقة –

[1] الدرر المنتشرة ومرقاة المفاتيح، قال ﷺ:{كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فبي عرفوني }.

بسبب علو منزلة الحبيب المُجتبى عند مولاه، ورفعة قدره عند حضرة الله، فقد جمعنا فى هذا الكُتيب الصغير الحجم فى مبناه، الغزير المعنى والعظيم القدر فى معناه بعض الدروس الراقية التى منَّ الله بها علينا فى الإحتفال بليالى ذكرى مولد رسول الله ﷺ هذا العام ١٤٣١ هـ، وأشرنا فيها إلى لمحات من خطاب الله ﷻ فى الآيات القرآنية لأهل المقامات العلية عن الحضرة المحمديَّة حتى تشتاق القلوب إلى جمال حضرته، وتميل الأفئدة إلى شذى عُرف قربه ومودَّته، وتُحلِّق الأرواح راغبة فى الوصول إلى مقام معيته.

جعلنا الله ﷻ ممن يتعلقون بحضرة ذاته، ويتخلقون بأخلاقه، ويتجملون بجميل صفاته ،ويستمسكون ظاهراً وباطناً بأنوار تشريعاته.

وقد سمَّيناه ((**السراج المنير**)) لأنه الاسم الذى سمَّاه به الله لأهل الخصوصية، ولأن هذه المعانى التى ذكرناها تدور حول بعض هذه الأوصاف الذاتية التى أشار الله ﷻ إليها فى كتابه لهؤلاء الخصوص، أسأل الله ﷻ أن ينفع بها من قرأها، وأن يرفع بها من عايشها واستحضرها وتمثَّل بها، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأربعاء، ٥ من جمادى الآخرة ١٤٣١هـ ، ١٩ من مايو ٢٠١٠م

فوزى محمد أبوزيد

بريد : **الجميزة ـ محافظة الغربية – جمهورية مصر العربية**

☎ : **٠٠٢٠٤٠٥٣٤٠٥١٩+** ، 🖷 : **٠٠٢٠٤٠٥٣٤٤٤٦٠+**

الموقع على شبكة المعلوماتية : WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكتروني E-mail : fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com, fawzyabuzeid@yahoo.com

- قضية بشريته ﷺ
- نورانية بشريته ﷺ
- حفظ الله لمقام نبيه ﷺ
- بركة ريقه الشريف ﷺ
- خصوصية عَرَقه ﷺ
- سمعه الشريف ﷺ
- صوته المبارك ﷺ
- واجبنا نحو رسول الله ﷺ
- مقام العبودية لذات الله

٢ الجمعة ١٢ ربيع الأول ١٤٣١ هـ، الموافق ٢٦ فبراير ٢٠١٠م، مسجد النور بحدائق المعادى.

...الفصل الأول...

..بَشَرِيَّةُ النبى ﷺ النُّورَانِيَّة[٣]

الحمد لله ربِّ العالمين، نحمدك اللهم على نعمة الإيمان، وعلى أن هديتنا للقرآن، وجعلتنا من أُمة النبى العدنان، ورفعت شأننا بين بنى الإنسان فجعلتنا خير أُمة أخرجت للناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له يُفضِّل ما شاء بما شاء كيف شاء:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء]

فضَّل بعض النبيين على بعض، وبعض الليالى على بعض، وبعض الأيام على بعض ،وبعض الكتب على بعض ... وما دام التفضيل من العزيز الجليل فله الحكم وله الأمر وإليه المرجع والمصير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله:

هو الحبيب الذى تُرجى شفاعته ... لكل هول من الأهوال مقتحم
فاق النبيين فى خَلقٍ وفى خُلقٍ ... فلم يدانوه فى علم ولا كرم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

اللهم صلِّ وسلم وبارك على رحمتك العظمى لجميع الآنام، والذى خصصته بمقام الشفاعة يوم الزحام، وجعلته مفتاحاً لدار السلام، هديت به

[٣] الجمعة ١٢ ربيع الأول ١٤٣١ هـ، الموافق ٢٦ فبراير ٢٠١٠م، مسجد النور بحدائق المعادى.

بعد ضلالة، وعلَّمت به بعد جهالة، وأغنيت به بعد فاقة، وأعززت به بعد ذلة، سيدنا محمد النبى التقى الأمى وآله وصحبه وكل من تمسك بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يارب العالمين.

أما بعد فيا أيها الأخوة جماعة المؤمنين:

۞ قضية بشريته ﷺ

ونحن فى ذكرى ميلاد سيد الأولين والآخرين ﷺ نود أن نوضح قضية هامة لنا مع حضرته، لا يسوقها المستشرقون ولا المستغربون، ولكن للأسف يرددها بعض المسلمين والمؤمنين نحو السيد السند العظيم! الذى أعلا الله شأنه ورفع الله قدره وبيَّن حقيقته فى كتابه حتى لا يكون هناك شك فى أوصافه وفى مقامه عند ربه ﷻ، يقول هؤلاء القوم من المسلمين:

إن النبى بشر مثلنا!! وما زاد علينا فى شئ!!، ونسوا أن هذه الحُجة ذكرها الله فى القرآن على لسان الكافرين!!..!!، فقد قالوا لحضرته عندما أُرسل إليهم لهدايتهم إلى رب العالمين:

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [١٥٤الشعراء]

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ [٢٤القمر]

هذه كانت حجة الكافرين، بماذا ردَّ عليهم رب العالمين؟ قال: يا حبيبى قل لهم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [١١٠الكهف] أنا معىَّ الوحى، والعبرة كلها بالوحى!!...

مَن منكم آتاه الله وحى السماء؟!... مَن منكم يتنزل الله ﷻ على قلبه بالإلهام الفورى من الربِّ العلى؟!... مَن منكم نَقَّى الله سريرته وكشف عن بصيرته فيرى ما فى القلوب ..!! ويرى ما فى البيوت ..!! وينبئ الناس عن أحوالهم وعن أخبارهم؟.. !! وما أكثر الروايات التى تَحْفل بها السُنة المطهرة فى هذا الشأن الكريم .....

فإذا كان الله ﷻ فضَّله على الأنبياء، وفضَّل بعضهم على بعض ... فهل يصح أن نقول أننا مثل الأنبياء وكلهم بشر؟! فما بالنا بسيِّد الأنبياء وسيِّد الأولين والآخرين إلى يوم الدين!!.

وهذه هى المصيبة التى نحن فيها الآن ... أن بيننا جماعة المسلمين من ينتقص سيد الأنبياء والمرسلين !!!، ألم يقرأوا كتاب الله، فكتابه ﷻ فى كل آياته يمجِّد قدر رسول الله عند الله فى الدنيا وفى الآخرة ... بيان شافى لا يحتاج إلى تأكيد و لا إلى مزيد لأنه كلام الحميد ﷻ، فلو رأينا آية واحدة أو استبصرنا فيها ... آية واحدة فقط من كتاب الله مثلً قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ ﴾ [الكوثر]

فلو مكثنا عمر نوح عليه السلام لنفسر هذه الآية لنبين ماهو الكوثر أو الخير العظيم الذى أعطاه الله لحبيبه ما انتهينا منه!! ولو جلسنا إلى آخر الزمان!! والكوثر ليس الحوض فقط! فالحوض من بينها، أما الكوثر فهو الخير الكثير الذى لا حدَّ له ولا منتهى.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [٣٤إبراهيم]

لم يقل الله (نعم الله) ... ولكنه قال: ﴿ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ فنعم الله تعنى النعم التى معنا من المأكولات والمزروعات والحيوانات والشمس والقمر... وغيرها، ولكن نعمة الله هى نعمة واحدة يتحدث عنها الله فى الآية:

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فى ماذا يارب؟ ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ .. مَن النعمة التى ألفت بين القلوب؟ أليست رسول الله؟!! ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [١٠٣آل عمران].

فمن الذى يستطيع أن يعدَّ ما خصَّ به الله حبيبه ومصطفاه فى الدنيا والآخرة من نعم باهرة وأفضال ظاهرة؟! ناهيك عن الجنان!! فإن هذا أمر غامض لم يحن بعد الوقت لكشفه فى هذه الدار! وإنما سنراه بعيون البصائر والأبصار إذا رزقنا الله هذا الجوار إن شاء الله ... فهل يستطيع أحد أن يبين ماذا أعدَّ الله فى الجنة لرسول الله ؟؟ لا يوجد:

عجز الورى عن فهم سرِّ محمد لم يدره إلا الإلـــه القــادرُ

لابد أن يكون الذى أرسل إلى البشر بشراً، لماذا؟ لأن الله ﷻ جعله هو النموذج القويم الذى نتعلم منه ما يريده منا العزيز الحكيم، فقد أمرنا الله ﷻ فى قرآنه بالصلاة فى أكثر من موضع فى كتاب الله:

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [١٠٣النساء] ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة:٢٣٨]

ما الصلوات التى أمرنا بها الله؟ .. ما عددها؟ .. وما أسماؤها؟ .. وما

أوقاتها؟ .. وما عدد ركعاتها؟ .. وما الكيفية التى نؤديها بها لنُرضى رب العزة ﷻ؟ .. مَن الذى فعل ذلك وأمرنا الله أن نهتدى به فى ذلك؟ .. الذى قال لنا صلوات ربى وتسليماته عليه:

{ صلُّوا كما رأيتمونى أصلى }[٤]

فجعل وقتاً للصبح ووقتاً للظهر ووقتاً للعصر ووقتاً للمغرب ووقتاً للعشاء، وجعل الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء أربعاً والمغرب ثلاث، وجعل فى الصلاة ركوعاً وسجوداً ...، والركوع مرة فى كل ركعة والسجود مرتين فى كل ركعة ..!!، وهناك موضع لتلاوة القرآن، وهناك موضع لتسبيح الله، وهناك موضع للدعاء... ثم قال لنا الله ﷻ فى ذلك:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر ٧]

وإلا فانظر يا أخى المؤمن أين تجد ما ذكرناه عن الصلاة فى كتاب الله؟! ليس فيه إلا الأمر الجامع للصلاة !!، أما الذى وضَّح وبيَّن هيئاتها وأقوالها وأفعالها هو رسول الله ﷺ، كيف يفعل ذلك ببشريته إذا لم يكن معصوماً من الله ﷻ فى كل حركاته؟!.. فلا يتحرك حركة من قِبَل نفسه، ولا يتكلم كلمة من عند ذاته، وإنما كل حالاته يقول فيها رب العزة ﷻ:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم].

وكذلك فى شأن الزكاة، فقد فرض الله علينا الزكاة ..، فما مقدار

---

٤ السنن الكبرى للبيهقى، أحمد والبخارى وغيرها عن مالك بن الحويرث ﷺ

زكاة الزرع؟ !! .. وما نصاب زكاة المال؟ وغيرها من صنوف الأموال والأعراض التى تجب عليها الزكاة؟، الذى وضَّح وبيَّن هو الذى قال له الله:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [١٠٣التوبة]

هو الذى أمره الله ﷻ أن يتقاضى هذه الزكاة ليوزعها كما أوحى إليه مولاه، وليس بناءاً عن حظ أو هوى – حاشا لرسول الله ﷺ- وكذلك الصيام والحج، نسَّك المناسك ومشى أمامهم فى المناسك تطبيقاً وقال لهم:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَنِي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا }[٥]

وليس أمر العبادات فحسْب ...

بل إن الله جعله ﷺ بشراً ليعلِّمنا كيف نأكل؟ ويعلِّمنا كيف نشرب؟ ويعلِّمنا كيف نلبس؟ ويعلِّمنا كيف نتحدث؟ ويعلِّمنا كيف نمشى؟ ويعلِّمنا كيف نعامل زوجاتنا؟ وكيف نربى أولادنا؟ وكيف نصل أرحامنا؟ وكيف نحسن إلى جيراننا؟ وكيف نتعامل مع أعدائنا؟ ويعلمن كيف نتصرف وفقا لما علمه له مولاه فى كل شأن من شئون الحياة! ... هذا ليضرب لنا المثل الأعلى فى ذلك كله؟ ليقربنا بذلك إلى ربنا ﷻ .

فكان لابد من بشريته لأنه أرسل ليُعلِّم البشر ...، وكان لابد لهذه البشرية أن تتنزل لنا .. ويتنزل فيها وحى ذى الجلال والإكرام .. لنتعلم المنهج الصحيح القويم الذى يريده منا ربُّ العزة ﷻ.

---

٥ (ن) عن جابرٍ، (طب) عن ابن عمرٍو ﷺ. [جامع الأحاديث والمراسيل]

نورانية بشريته ﷺ

لكنَّ الله ﷻ وضَّح في القرآن أن بشريته غير بشريتنا أيضاً في الصورة، فالعرب أنفسهم كانوا يأتون له ليسألوه عن أمره وكيف صار رسولا من الله وهم يعلمون بفهمهم وفطرتهم أنه لابد له من تأهيل خاص يجعل بشريته قابلة لهذا الأمر العلي، واسمعوا لحديث سيد بني عامر وكبيرهم الذي أتى رسول الله ﷺ ليستوثق من أمره قبل أن يسلم، فقال:

يا ابن عبد المطلب، إني نبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ألا وإنك تفوَّهت بعظيم، إنما كان الأنبياء والملوك في بيتين من بني إسرائيل، بيت نبوة وبيت ملك، ولا أنت من هؤلاء ولا من هؤلاء!! إنما أنت من العرب ممن يعبد الحجارة والأوثان، فما لك والنبوة؟ ولكل أمر حقيقة، فأنبئني بحقيقة قولك وبدء شأنك؟.فأعجب النبي ﷺ مسألته، وقال:

{ يا أخا بني عامر، إن حقيقة قولي وبدء شأني دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، إني كنت بكرا لأمي، وإنها حملتني كأثقل ما تحمل النساء، وإن أمي رأت في المنام أن الذي في بطنها نور قالت: فجعلت أتبع بصري النور، فجعل النور يسبق بصري حتى أضاء لي مشارق الأرض ومغاربها، ثم إنها ولدتني، فلما نشأت بغِّض إلي الأوثان والشعر، فاسترضعت في بني بكر، فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي، إذا برهط ثلاث، معهم طشت من ذهب ملآن نور وثلج، فأخذوني من بين أصحابي، فعمد إلى أحدهم، فأضجعني إلى

الأرض إضجاعا لطيفا، ثم شق ما بين صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر، فلم أجد لذلك شيئا ثم أخرج أحشاء بطني، فغسله بالثلج، فأنعم غسله، ثم أعادها في مكانها ثم قام الثاني فأدخل يده في جوفي فأخرج قلبي، وأنا أنظر فصدعه فأخرج منه مضغة سوداء رمى بها، ثم إذا بخاتم في يده من نور: نور النبوة والحكمة، يخطف أبصار الناظرين دونه، فختم قلبي، فامتلأ نورا وحكمة، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم أمرَّ الثالث يده بين ثديي وصدري ومنتهى عانتي، فالتأم الشق بإذن الله، ثم أنهضني من مكاني إنهاضا لطيفا، ثم قال الأول: زنوه بعشرة من أمته، فوزنوني فرجحتهم، فقال: زنوه بمائة من أمته، فوزنوني فرجحتهم، فقال: زنوه بألف من أمته، فوزنوني فرجحتهم، فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمته جميعا لرجحهم، قال:ثم أقبل الحي بحذافيرهم، فجاءت ظئري حتى أكبت علي فضمتني إلى صدرها وإن يدي لفي يد بعضهم، فظننت أن القوم يبصرونهم، فإذا هم لا يبصرونهم، فجاء بعض الحي، فقال: هذا الغلام أصابه لمم أو طائف من الجن، فانطلقوا به إلى الكاهن، ينظر إليه ويداويه فقلت له: يا هذا ليس بي شيء مما تذكرون، فذهبوا بي إلى الكاهن، فقصصت عليه أمري، فضمني إلى صدره ونادى بأعلى صوته: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام، واقتلوني معه، واللات والعزى لئن تركتموه ليبدلن دينكم، وليسفهن أحلامكم، وليخالفن أمركم، وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله، فقالت ظئري: لأنت أعته منه وأجن، ولو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك، ثم ردوني إلى أهلي، وأصبح أثر الشق ما

بين صدري إلى منتهى عانتي كأنه شراك، فذاك حقيقة قولي وبدء شأني فقال العامري: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أمرك حق }[٦]

فللقصة دلائل كثيرة تدلُّ على أن الله جهَّز بشريته ﷺ تجهيزا خاصاً لحمل الرسالة فصارت بشريَّةً نورانيَّةً، ولذا لما سمع سيد بنى عامر القصة من النبى أدرك وفهم ووجد الإجابة عن تساؤله وأسلم فى الحال، بل لما سمع الكاهن ذلك علم أنه النبى المنتظر الذى يعدُّ لحمل الرسالة فى المستقبل! ... وأنظروا إليه ﷺ لما وزنوه بعد أن جهزوه وطبعوه بخاتم النور والحكمة.. ماذا كانت النتيجة؟ .. كان وهو فردٌ وحيدٌ يساوى الأمة كلها ببشريته التى أعدها الله بقدرته فجعلها نورانية فى صورة بشرية!!.وإذا كان رجل من أُمته وهو الصديق ﷺ يقول الحبيب ﷺ فى تفضيله:

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ النّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْر }[٧]

فما بالكم بمن كان السبب فى إيمان الأمة جميعها وإيمان أبى بكر!! الرحمة المهداة والنعمة المسداة التى خلقها لنا الله ﷻ.

روى الإمام أبو المواهب الشاذلى ﷺ أنه كان فى الأزهر الشريف يُدَرِّس، وإذا برجل معاند جاء إلى مجلسه، وأخذ الرجل يتحدث فى هذه القضية ويُصر على أن الحبيب ﷺ بشرٌ كسائر البشر، قال: فقمت من هذا

---

٦ عن شداد بن أوس، المطالب العالية (ابن حجر العسقلاني) مع اختصار الرواية، وفى كنز العمال و دلائل النبوة وغيرها.

٧ قال صاحب كشف الخفاء: رواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر من قوله، وأخرجه ابن عدي والديلمي كلاهما عن ابن عمر مرفوعا بلفظ "لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها"، وفي سنده عيسى بن عبد الله ضعيف، لكن يقويه ما أخرجه ابن عدي أيضا من طريق أخرى بلفظ لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم، وله شاهد أيضا في السنن عن أبي بكرة مرفوعا أن رجلا قال يا رسول الله كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح –الحديث. ، وقال ابن تيمية لما سأل عنه هذا جاء معناه في حديث معروف في السنن أن أبا بكر رضي الله عنه وزن هذه الأمة فرجح، مجموع فتاوى ابن تيمية.

المجلس مهموماً لأنى لم أدافع عن رسول الله ﷺ كما ينبغى، قال: فنمت فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام وقال لى: يا محمد هلا قلت له: "**محمد بشر بين البشر كالياقوت وهو حجر بين سائر الحجر**".

هل يساوى حجر الياقوت بقية الأحجار؟! هل يساوى حجر الذهب بقية الأحجار؟! والنبى ﷺ يقول فى الخلق والناس أجمعين: { **النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ** }٨.

ولِمَ نذهب بعيداً وهذا الزجاج الذى نضعه فى نوافذنا، ما أصله؟ أصله رملٌ، ولكننا عالجناه حتى صار شفافاً يبين ما وراءه، فما بالكم بحبيب الله ومصطفاه الذى شفَّ الله جسمه ونوَّر الله هيكله حتى صار ظاهره نور وباطنه نور وكله نور! وقال الله فى شأنه: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [٣٥النور]، ولذلك كان ﷺ إذا انتهى من الصلاة يلتفت إلى من خلفه ويقول لهم أنت فعلت كذا أو قلت كذا، قال سيدنا ابو هريرة ﷺ :

{ **صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ الظُّهْرَ، فَلَمّا سَلَّمَ نَادَى رَجُلاً كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ: يَا فُلاَنُ؛ أَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ. أَلاَ تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي؟، إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لاَ أَرَاكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيّ** }٩.

ومَن الذى يرى من خلفه؟ إلا إذا كان جسمه شفافاً نورانياً، لأنه ليس له عين فى مؤخرة رأسه! ولكن له قلب مملوءٌ بالنور يقول فيه مولاه:

---

٨ صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وفى الحديث { خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا }.
٩ الترغيب والترهيب، صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة ﷺ

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [١٠٨يوسف].

بهذه البصيرة النورانية كشف لنا كل ما حدث مع أنبياء الله ورسل الله مع أممهم السابقين، وحدثنا عن كل شئ سيحدث لنا أو بيننا إلى يوم الدين ،فما من شئ يحدث فى الأكوان إلى الآن وبعد الآن إلا وأنبأ عنه النبى العدنان وحدَّث عنه بأبلغ بيان.

بل إنه ﷺ حدَّثنا عن القيامة كأنها رأى العين، وحدَّثنا عما يدور فيها، وكيف يكون حالنا بينها، وكيف حال المؤمنين، وكيف حال المنافقين، وكيف حال الكافرين، بل حدَّثنا عن الجنة ودرجاتها وقصورها وحورها وأنهارها وكل شئ فيها، وكذا النار وكل مافيها من أهوال وأحوال..!!! ذلك لأن الله ﷻ كشف له عن بصيرته فرأى ما لم نرَ، قال تعالى:

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [٢٦-٢٧الجن]

وقد ارتضى هذا الرسول وأعطاه مالم يعط الأولين والآخرين، فيجب أن نعلم قدر نبينا عند ربه، وعظمة نبينا بين أنبياء الله ورسله، ونفرح بالنعمة الكبرى التى وهبها الله لنا وهو هذا النبى وهذا الرسول وهذا الحبيب الذى جعله الله نبينا وجعله شفيعنا وجعله إمامنا، قال ﷺ:

{ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا. لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ

آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ }[١٠].

حفظ الله لمقام نبيه ﷺ

انظروا إلى حفظ الله لنبيه وصفيه ﷺ، فرغم أن الله رفع قدره وأعلى شأنه فى كتابه إلى حدود لا يتحملها بشر، فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٨٠النساء] وأخرى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [٥٤النور]، وحذِّر: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٦٣النور]، ويقول ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [٦٢التوبة] .... ورغم كل هذه الرفعة والشأن العلى! لكن حفظه الله فى كل الأزمنة وإلى يوم الدين، بأنه لا يوجد مسلم قط قد رفعه عن رتبة العبودية أوأدخله دائرة الألوهية، فمهما يمدحه أى مسلم أو يُثنى عليه أى عالم ... فتكون نهاية المدح عبدٌ لله!! .. لكن حضرة الألوهية لا يوجد أحدٌ منا يدخله أو يشركه ﷻ فيها ... لأن الله ﷻ عندما رفع قدره وأعلى شأنه مدحه بالعبودية:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [١الإسراء]

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [١الفرقان]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [١الكهف].

هذه قضية بديهية، فكل المسلمين مهما يرفعون شأنه فإنهم يتبعون رفعة شأنه التى فى كتاب الله والتى بيَّنها الله، وفى النهاية عبد الله ورسوله!! نحن لا نقول فى الصلاة: (أشهد أن محمداً رسول الله) ولكن نقول فى الصلاة

---

١٠ سنن الترمذى عن أنس ﷺ

أثناء التشهد: (أشهد أن محمداً عبده ورسوله) مَن الذى علَّمنا هـذا الأدب العالى؟ هو سيدنا رسول الله ﷺ.

لكن بشريته ﷺ كان لابد منها حتى نتعلم منها، لأن الله إذا أنـزل ملكاً من السماء فلن نراه ولن نسمعه! إذاً كيف سنتعلم منـه؟! فلابـد أن يكون بشراً، ولكنه بشرٌ معه الوحى من خالق القُوَى والقُدَر، ولكى يتحمل نزول الوحى والإتصال بالملاء الأعلى لابد أن تكون بشريته أعلى وأرقى من سائر البشر!! فلابد من الله أن يصفِّيه ويرقِّيه ويعليه حتى يكون لـه شـأنه، وتصبح بشريته ملائمة لهذه الأعباء وتلك التكليفات التى فوق طاقة البشر! وخذوا امثلة على ذلك ... وهى واضحة وثابتة بينة:

كان ﷺ إذا مشى لا يُرى له ظل[١١]!! من فينا ليس له ظل؟! الـذى ليس له ظل هو النور، فكان ﷺ إذا مشى لا يُرى له ظل!!.وفى وصـفه ﷺ الذى اشتهر وانتشر قال سيدنا هند بن أبى هالة:

{ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخّمًا، يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ }١٢، وورد فى وصفه ﷺ : { إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق، وعن مثل حب الغمام، إذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه }.، و قال أبـو هريـرة ﷺ :{ مارأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجدر }، و قال جابر بن سمرة؛ وقال لـه رجل: كان وجهه ﷺ مثل

١١ ذكر ذلك القاضي عياض في الشفاء ٢٦٨/١، وقال السيوطي: أخرج الحكيم الترمذي عن ذكوان أن رسول الله ﷺ لم يكن له ظل في شمس ولا قمر. انظر: الخصائص الكبرى ٦٨/١؛ ومناهل الصفا ص ١٧٣.
١٢ المسند الجامع عن الحسن بن على وغالب كتب السنة والحديث

السيف؟ قال: { لا، بل مثل الشمس والقمر }.[١٣]

رأو الحقيقة التى جمَّله الله بها، والتى عيَّرَ الكافرين بسببها فقال ﷻ: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [الأعراف] .. لا يرون الفضل الذى منحه الله لك!! فيرونه مثلهم!! يأكل ويشرب مثلهم!! مع أنه ﷺ حتى فى أكله وشربه ليس مثلنا!، لأنه ﷺ كان يصوم صيام الوصال، فكان لا يأكل أو يشرب لمدة أسبوع أو أكثر!! ولكنه كان يقول:

{ إني لست مثلكم، إني أظل عند ربي فيطعمني ويسقيني }[١٤]

بركة ريقه الشريف[١٥] ﷺ

ولننظر إلى أعضاءه الطبيعية والتى أشركنا الله فيها معشر البشرية كلنا، وسنأخذ حقيقة واحدة: فى هذه الأيام منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة الإقليمية وكل الإذاعات والمنشورات تُحذر من اللعاب والريق لأنه يسبب أمراضاً كثيرة، ويحذرون من التقبيل ومن استخدام الريق لأنه الموضع الأساسى للداء، لكن تعالوا ننظر إلى ريق رسول الله ﷺ ....

ففى مرات لا تُعد ولا تحصى فى كتب السيرة يأتيه وفد من العرب ويخبرونه أن لهم بئرا مالح ماؤه وحياتهم على الآبار، فيطلب ﷺ إناءاً به ماء، فيتناول منه قليلاً ويديره فى فمه ثم يمجُّه فى الإناء ثانية، ويقول لهم أن اسكبوه فى البئر، فيفعلون، فيتحول ماء البئر بإذن الله ﷻ إلى ماءٍ عذب

---

١٣ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض مجموعة من كتب الحديث.

١٤ مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة ﷺ

١٥ المحاضرة من هنا وحتى نهاية الفصل كانت بقنا يوم ١٨ فبراير ٢٠١٠.

فرات!! – هذه الروايات عددها أكثر من ثمانين مرة فى كتب السيرة الصحاح – إذاً كيف حوَّل ريقه الماء الملح الأجاج إلى ماء عذب؟!! إذاً هل هو مثلنا؟!! لا، بل كرَّمه الله ﷻ.

وأخرى .. ذهب رسول الله ليفتح خيبر، وحاصر الجيش اليهود، ومن إعجاز القرآن أن الله أخبر عن اليهود فى أنهم كما كانوا فى عهد حضرة النبى كذلك هم الآن: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ [١٤الحشر] إما أن يبنوا قرى وحولها أسوار حصينة أو يبنوا جدراناً، وأنتم تعلمون أن اليهود مكذبين ويريدون أن يُكذبوا القرآن، ومع ذلك فإنهم يبنون قرى محصنة ويبنون جدران! فلماذا لا يمتنعون عن ذلك؟! حتى نعرف: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء].

فحاصر النبى أهل خيبر والذين أقاموا سوراً له باب واحد، فحاربهم المسلمون طوال النهار ولم يستطيعوا أن يدخلوا، فعقد النبى ﷺ اجتماعاً مع قادة المهاجرين والأنصار بعد المغرب وقال لهم:

{ لأُعْطِيَنّ هذِهِ الرّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللّهُ عَلَى يَدَيْهِ. يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ: فَبَاتَ النّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ: فَلَمّا أَصْبَحَ النّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللّهِ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا– وفى رواية أبى هريرة : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا– فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالُوا: هُوَ، يَا رَسُولَ اللّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ

رَسُولُ اللّهِ فِي عَيْنَيْهِ. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ. حَتّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. فَأَعْطَاهُ الرّايَةَ }[١٦].ففتح الله على يديه.

فأين القطرة أو المرهم الموجودة فى الكون كله! والتى يمكن أن تشفى من الرمد فى الحال؟! هل توجد؟ بالطبع لا! ... ولكنه ريق النبى ﷺ.

وهذا الكلام ليس بعد النبوة فقط بل منذ ولادته، فاليهود كانوا يعلمون كل شئ عن رسول الله ﷺ، فقد عرَّفهم سيدنا موسى عنه كل شئ، حتى قال الله فيهم: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [١٤٦البقرة] وكثير منهم سكن مكة عند ميعاد ظهوره، ومنهم من سكن المدينة لأنهم يعرفون أنها مهاجره، وممن سكنوا مكة من اليهود رجلٌ سكن عند جبل عرفات – وكان طبيباً – وكان حضرة النبى بعد أسبوع من ولادته قد أصيب برمد، فأخذه جده عبد المطلب وذهب لهذا الراهب ليعالجه، فعندما رآه عرفه، وقال لجده هذا شفاءه معه! فخذ من ريقه وضع فى عينه يُشفى فى الحال! فأخذ من ريقه ووضع فى عينه فشفى فى الحال! متى كان هذا؟ كان وهو فى سن سبع سنوات .. كيف ذلك؟ خصوصية لرسول الله ﷺ!!

فهو ﷺ حتى فى الصفات البشرية فريدٌ وحيدٌ لا مثيل له!!.فريقه كان يحول الماء الملح إلى عذب وريقه يشفى العين المصابة بالرمد من مرة واحدة لأكثر!، ... إنه ريقه الشريف! ﷺ!! ...

فهذه الخاصية مع من قال له الله فيهم: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [١٧٥الصافات] أى أنت معك نور السريرة والبصيرة، وكما أنك تنوِّر الأبصار فأنت تنور السرائر بنور الواحد المتعال ﷻ، فالناس صنعت لعيونها

١٦ صحيح مسلم عن سهل بن سعد، ورواية أبى هريرة فى صحيح مسلم وروى الواقعة الكثيرون.

قطرات ومراهم، ولكن السرائر أو البصائر ليس لها علاج إلا عنده ﷺ ... من الذى معه هذه البصيرة غير رسول الله فى الكون شرقا وغربـاً أو قـبلاً وبعداً؟ لا يوجد إلا رسول الله من أعطاه الله هذه الخصوصية: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨].

وللريق الشريف آثار أخرى .. ففى موضع آخر ذهبت ابنة يتيمـة ومعها ثلاثة أخوات لها إلى النبى ﷺ، فأعطاها قطعة لحم كانت فى فمه وقـد لاكها بأسنانه الشريفة، وقال لها: كليها أنت وأخواتك ... فصرن الثلاثـة يُعرفن بأنهن أنقى النساء رائحة فم إلى أن لقين الله ﷻ! لم يستخدمن معجون أسنان ولا فرشاة، ولكن الله جعل أفواههن كذلك ببركة ريقه الشريف ﷺ! فانظروا .... ماذا يفعل ريق رسول الله ﷺ!!!.

وواقعة أخرى لرجل من أصحابه ﷺ يدعى عتبة بن فرْقَد السُّـلَمِى وكان له أربعة نسوة، يجتهدن كلهن لتنال رضاه فتـأتى بـأفخر العطـور وتتطيب بها، واترككم للحديث العجيب من إحداهن وهى أُمِّ عاصم ﷺ :

{ كُنا عند عُتبة أربع نِسْوَةٍ ما منا امرأةٌ إلاَّ وهي تَجتهدُ في الطِّيب لتكونَ أطيبَ من صاحِبَتِها، وما يَمَسُّ عُتبةُ الطّيب إلاَّ أن يَمَسّ دُهناً يمسحُ بهِ لحيتَهُ، ولَهُو أطيبُ ريحاً منّا، وكان إذا خرجَ إلى الناسِ قالوا: ما شَمِمنا ريحاً أطيبَ من ريحِ عُتبة. فقلتُ له يوماً: إنا لنجتهدُ في الطِّيبِ، ولأنتَ أطيبُ ريحاً مِنا فمِمّ ذاك؟ فقال: أخذني الشَرى (حبـوب وبثـور) على عهدِ رسول الله، فشكوتُ ذلكَ إليه فأمرني أن أتجرد فتجردْتُ وقعدتُ بين يديه وألقيتُ ثَوبي على فَرْجِي فنفثَ في يد ثم مسح يَدَهُ على

ظَهْري وبَطني فَعَبِقَ بي هذا الطِّيبُ من يومئِذٍ.}.[١٧]

بل أكثر من هذا من غرائب ريق الحبيب، فقد كانت هناك امرأة سليطة اللسان فى المدينة، ذهبت لرسول الله ﷺ مرة وكان يأكل لحما مجفَّفاً، فأعطاها مما أمامه، فأصرَّت أن تأخذ مما فى فمه! فأعطاها قطعة كان قد لاكها بفمه وأعطاها لها فأكلتها فانقطع عنها سبابها وشتائمها وصارت لا يُسمع منها إلا القول الحسن ببركة ريق رسول الله ﷺ!.إلى أن توفاها الله ﷻ.

والسيدة فاطمة كانت تخرج لقضاء حاجاتها وتترك سيدنا الحسن وهو رضيع وبعده الحسين، و عندما كانت تتأخر ويبكى أحدهما كان ﷺ إذا لم يجد له طعاماً ﷺ يُخرج له لسانه فيرضع فيه فيشبع بإذن الله ﷻ!![١٨].

وتفل فى فم سيدنا عبدالله بن عباس وهو صغير ودعا له ففقَّهه الله فى الدين وعلَّمه التأويل وصار كما نعلم، وقد أخبرسيدنا عمر ﷺ بهذه الواقعة.

خصوصية عَرَقه ﷺ

عجائبٌ لا عدَّ لها ولا حد حتى نعرف أن رسول الله ﷺ حتى فى البشرية كان له خصوصية إلهية، وهذا ليس بعجيب على القدرة الربانية التى خصته بهذه الأوصاف الخصوصية إكراماً له صلوات الله وسلامه عليه.

مَن منا يتحمل رائحة عرَقه؟ نحن نضع عطوراً ومزيلات عرق من أجل رائحة العرق!! لكن رسول الله باتفاق جميع الرواة كانت رائحة عرَقه

---

١٧ رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وقال في بعضها: ثلاث نسوة وقال فيه: ثم بسط يديه فبصق فيهما فمسح إحداهما على الأخرى، ومسح إحداهما على بطني والأخرى على ظهري، كذا فى مجمع الزوائد

١٨ عن أبي جعفر ﷺ قَالَ: { بَيْنَا الْحَسَنُ مَعَ رسول اللَّهِ إِذْ عَطِشَ فَاشْتَدَّ ظَمَؤُهُ، فَطَلَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَاءً فَلَمْ يَجِدْ، فَأَعْطَاهُ لِسَانَهُ فَمَصَّهُ حَتَّىٰ رَوِيَ }،(كر). جامع المسانيد والمراسيل ، وقد ورد ذلك كثيراً فى أحداث عديدة.

أزكى من رائحة المسك!! ... فكان ﷺ إذا صافح إنساناً تظل رائحة النبى ﷺ فى يده ثلاثة أيام! وإذا مشى فى طريق ينتشر أريجه فى هذا الطريق! وكان الذى يسأل عن رسول الله ﷺ ولم يجده يتتبع رائحته..! ...

سيحدث ذلك معنا كلنا! ولكن فى الجنة، التى يقول النبى ﷺ فى أهلها:

{ لاَ يَتَغَوّطُونَ وَلاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَبْزُقُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذّهَبُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ }[١٩]

فهم يأكلون وفضلاتهم تخرج كرشحات عرق رائحته كرائحة المسك!! سيحدث ذلك معنا فى الجنة، لكنه كان مع حضرة النبى فى الدنيا، فكأنه وهو فى الدنيا كان يعيش فى الجنة!! ..

وهذه الرائحة لم تنفذ من الكون بل موجودة ... ولكن هذه الأيام من يشمها؟ الذى ليس عنده فى أنف قلبه زكام!! وعندها يمكنه أن يشمَّ رائحة المصطفى عليه الصلاة والسلام .التى هى أطيب من ريح المسك!!.

فكما أن للجسم مشام كذلك القلب له مشام! وهذه المشام كانت عند سيدنا يعقوب عليه السلام عندما قال كما أخبر القرآن: ﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ [٩٤يوسف] فأين كان يوسف؟ فى مصر، وأين كان يعقوب؟ فى بيت المقدس! .. فكيف شمَّ ذلك؟ بالقلب! لأن الأنف هل يستطيع أن يشم شيئا خارج المجلس الذى يجلس فيه؟ لا، بل ولا يمكنه أن يشمَّ الكثير مما فيه!

كان ﷺ يحب السيدة أم سليم وهى أم سيدنا أنس بن مالك ﷺ لأنها

---

[١٩] عن أبى هريرة، صحيح مسلمن وأوله قال ﷺ: { أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي، عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ، فِي السَّمَاءِ، إِضَاءَةً. ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ.(الحديث أعلاه).}

كانت امرأة من الصالحات[٢٠]، وكان حضرة النبي يحبها لصدقها وإخلاصها، فكان ﷺ في أيام الصيف يذهب في الظهيرة ليقيل عندها ،فكان إذا نام غزر عرقه، يروى سيدنا أنس ﷺ عما حدث في بعض المرات فيقول:

{دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا؛ فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ }[٢١] وفي رواية: { وهو أطيب الطيب }.

وفي رواية أخرى قال سيدنا أنس ﷺ :

{ كَانَ النَّبِيُّ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ. قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا. فَأُتِيتْ فَقِيلَ لَهَا: هذَا النَّبِيُّ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَى فِرَاشِكِ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: أَصَبْتِ }.[٢٢]

بل هناك ما هو أكثر مما رواه سيدنا أبو هريرة ﷺ:

---

[٢٠] لما أراد أبو طلحة أن يتزوجها (وكان مشركاً) فذهب لها، فقالت له: يا أبا طلحة إن مثلك لا يُرَد، ولكنك كافر وأنا مسلمة، والإسلام يرفض هذا الزواج، فإن أردت الزواج بي فأنا أرضى بمهري (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فذهب وأسلم ثم عاد، فقالت لابنها أنس زوجني، فتزوجت طلحة وكان مهرها (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

[٢١] عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صحيح مسلم، وقال عندنا : أى نام القيلولة .

[٢٢] صحيح مسلم وغيره

{ أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إني زَوّجْتُ ابنتي وإني أحبُّ أن تعينَني بشيء فقال: مَا عِنْدِي مِن شَيْءٍ، ولَكِنْ إِذَا كانَ غَدٌ فَتَعَالَ، فَجِيءَ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرَةٍ، وآيةُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ أَنِّ أُجِيْفُ نَاحِيَةَ البَابِ، فأتَاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأس وعودِ شجرةٍ فجعلَ يَسْلُتُ العرَقَ من ذراعيه حتى امتلأت فقال: خُذْ وَمُرِ ابْنَتَكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطَيَّبَ أَنْ تَغْمِسَ هَذَا العُودَ في القَارُورَةِ وَتَطَيَّبَ بِهِ، قال: فكانت إذا تطيَّبَتْ شَمَّ أَهْلُ المدينة رائحةَ الطِّيْبِ فسمُّوا بَيْتُ المُطَيِّبين }[٢٣]

ووردت فى بعض الروايات أنهم فتحوا حانوتاً أو دكاناً لبيع العطور، وكان أساسه هذه القارورة المباركة وأسموا دكانهم " بيت المطيبين".

كيف ذلك؟! حتى نعرف أنه ﷺ بشر ولكن تولاه خالق القُوَى والقُدَر فرقَّى وصفَّى وشفَّى فأصبحت هذه البشرية نورانية فى صورة بشرية.

سمعه الشريف ﷺ

هل أذننا مثل أذن رسول الله؟! هل آذاننا تسمع كلام الملائكة أو الجن ؟! نحن تجلس معنا الملائكة فهل نراها أو نسمعها؟! هل تسمع آذاننا أصوات السموات؟! كان ﷺ يسمع تسبيح الكائنات، وكان يفقه لغة الحيوانات! والطيور! والحشرات!، بل وكانت تكلمه! وهذا الأمر يحتاج إلى آلاف الصفحات ... لكى نحكى كل ما ورد عن رسول الله من كلامه

٢٣ رواه الطبرانى فى الأوسط، معجم أبي يعلى الموصلى عن أبي هريرة.

للحيوانات والطيور والحشرات ...، وكل ذلك كانت تستوعبه أذن رسول الله ﷺ !! فكان يقول لصحابته:

{ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ لله سَاجِداً } ٢٤

وسمع الجنة وحفيف أوراق أشجارها، وسمع هذا وسمع ذاك، فكانت أذنه ﷺ غير الآذان العادية، ولم يكن سمعه ﷺ سمعا لهذه الغيبيات أو المغيبات فحسب، ولكنه كان سمعاً تاماً مقرونا بفهم وعلم بلا صوت ولا حرف!

وقد ضرب الله تعالى لهم مثلاً يوماً إذ أسمعهم الله جميعا صوت وجبة أو دقة شديدة وهم جلوس عنده ﷺ، فسألهم ﷺ عنها – وهو أعلم بإجابتهم – ولكن ليضرب لهم المثل ويقيم الحجة لكل مؤمن إلى يوم القيامة أن بشريته ﷺ ليست ككل بشرية – ويروى القصة أبو هريرة ﷺ فيقول:

{ كنا عند رسول الله ﷺ يوماً فسمعنا وجبة فقال النبي ﷺ: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجرٌ أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن انتهى إلى قعرها } ٢٥

فكان سمعه ليس ككل سمع وأذنه ليست ككل أذن .. بل كان يسمع ويعقل ويفهم ويترجم ويعلم كل شيء عن الصوت وصاحبه من أوله إلى

---

٢٤ باقي الحديث: { وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ }، عن أبي ذر، قال أبو عِيسَى: وفي البَابِ عنْ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابنِ عَبَاسٍ وَأَنَسٍ.

٢٥ مسند الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة ﷺ

منتهاه؛ مثل ما كان يسمع أصوات من يعذبون فى قبورهم ويخبر أصحابه لماذا يعذبون ولأى شيء يضربون !! والأمثلة النَيِّرة لا حد لها ولا حصر!!

صوته المبارك ﷺ

أما كلامه ﷺ فلم يكن ﷺ جهورى الصوت، ولكنه كان إذا تحدَّث يُسمِع كل من أراد! ولذا فى حجة الوداع ..، حجَّ معه مائة ألف ونزلوا فى منى وتفرقوا فمنهم من فى الوادى ومنهم من على الجبال، وأراد ﷺ أن يبين لهم ما تبقى من المناسك فخطبهم فقال أبو هريرة وأنس ﷺ: فحمل لنا الله كلام رسوله إلينا فسمعناه ونحن فى رحالنا؛ أى أن كل واحد سمعه وهو فى خيمته، بل وفى موضع آخر، روى سيدنا عن البراء ﷺ، قال:

{ خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن ينادي بأعلى صوته: يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان من قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه اتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته فضحه في جوف بيته }[٢٦].

كما أورده الأصفهانى الحديث أيضاً تحت مسمى (خطبته ﷺ للعواتق فى خدرهن)، أى أنه كان ﷺ يخطب وهو فى مسجده! ويسمع العذارى وهن داخل غرفهن أو ستورهن بداخل بيوتهن !! ...

فلا ميكرفون ولا صدى صوت ولكن الله كان يأمر الهواء أن يحمل صوته إلى من يشاء لأنه مكلف برسالة الله ﷻ، والله يقول فى المرسلين

٢٦ أورده أبو نعيم الأصفهانى فى (دلائل النبوة) فى باب (بلوغ صوته حيث لايبلغ صوت) عن البراء ﷺ

أجمعين: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [٦٤النساء]

واجبنا نحو رسول الله ﷺ

وعلى ذلك فإن قضية البشرية التى يثيرها المشركون والمشككون ... لا ينبغى أن تثار على ساحة المؤمنين والموحدين لله ﷻ .. فقد يتحدث فى ذلك كافر أو جاحد ونردُّ عليه، لكن أن يقولها مؤمن يقرأ كتاب الله! ويقرأ سيرة رسول الله! ويقرأ الأوصاف التى وصفها به الله جلِّ فى علاه!! لا !!

لا ينبغى أبداً لمسلم أن ينتقص من قدر رسول الله، ولكن عليه دائما يحاول التعرف على بعض المنن والمواهب الإلهيه التى تفضل بها عليه مولاه :

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء]

فالله تعالى عندما يقول: ﴿ عَظِيمًا ﴾ فعظيماً هنا ما قدره؟ كم تبلغ هذه العظمة؟ هل لها حدٌّ؟ ليس لها حد، ولكن جاهد أنت لكى تعرف بعض مظاهر العظمة الربانية التى أفاضها الله على خير البرية، من أين أو أين؟ فى الآيات القرآنية تجد العجب العجاب !!! فرسول الله ﷺ جمَّله مولاه وكمَّله بما يحبُّه ويرضاه، وما أصدق ما قاله حسان بن ثابت الصحابى رضي الله عنه:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لم تَرَ قط عَـيْني ... وَأَجْمَل مِنْكَ لمْ تَلِدِ النّسَـاء

خُلِقتَ مُبَرَأ مِنْ كـُـل عَيْبٍ ... كأنّكَ قدْ خُلِقتَ كمَا تَشـاء

فهذا هو الشىء الوحيد الفريد الذى خلق وليس فيه عيوب!! فتِّش فى أجسام الخلق أجمعين، من ليس فى جسمه عيوب؟ لا أحد!! إلا النبى ﷺ.

ناهيك عن بعض ما ذكرناه من الأوصاف المعنوية والنورانية التى أعطاها الله ﷻ له فى جسمه البشرى! لأن الله ﷻ رقَّق بشريته – لأن البشرية عندنا طينة – لكن بشريته ﷺ رقَّقها الله فجعلها نورانية! أى أنها قد شفَّت وصفت وارتقت حتى صارت كلها نوراً، فكان باطنه نوراً وظاهره نوراً والكتاب الذى أنزل عليه نور ..فأصبح الشأن كله نور على نور ولذا لم ير له ﷺ ظلٌ ... لأن الذى ليس له ظلٌ هو النور .. ﷺ.

مقام العبودية لذات الله

حفظ الله بذاته مقام حبيبه ﷺ بعد أن نوَّه عنه فى محكم آياته عمَّا يتخيله المتأولون وينتحله الجاهلون من زيادة فى حضرة ذاته، حتى قال البوصيرى ﷺ:

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فلا تقل إنه إلهٌ–حاشاالله–، ولكن قل عبد الله وأضف إليه ماشئت، فمادمت وصفته بالعبودية لله فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف، وما شئت من كرم، لأن كل ذلك من إكرام الله ومن تعطفات الله ﷻ على عبده ﷺ.

إذاً .. إذا كان الأمر كذلك لماذا يسوق البعض هذه الحجج؟

هؤلاء هدانا وهداهم! حالهم كحال إبليس، عندما أمره الله أن يسجد لآدم .. رفض خوفاً أن يسجد لغير الله، فخاف على الله ﷻ !! ولم يسجد لآدم، فى حين أن الذى يأمره بالسجود لآدم هو ربُّ العزة ﷻ!! فكلما مدَحَت للناس فى رسول الله، أو وصفت رسول الله يدَّعون أنهم خائفين على الله!! ....

يأأيها القراء الكرام الأفاضل ... أعيرونى أفهامكم ... نحن نتكلم فى حضرة العبودية ...، وحضرة العبودية قل ما شئت فيها، ولا يوجد أحدٌ فى الأولين ولا الآخرين يستطيع أن يصل إلى وصف العبد بالوصف الذى وصفه الله به فى القرآن الكريم!! مهما تكلَّم المتكلمون جميعاً لن يستطيعوا أن يصفوه بما وصفه به القرآن!! فانظر إلى قول الله فى القرآن:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [٦٤النساء]

إذا ظلموا أنفسهم ! أين يذهبون؟ المفترض أن يذهبوا لله، لكن الله قال: ﴿ جَآءُوكَ ﴾ لم يقل حتى اذهبوا للكعبة!!، لأن المؤمن العادى أعظم عند الله من الكعبة، فقد قال ﷺ وهو يطوف بالكعبة:{ مَا أَطْيَبَكِ، وَمَا أَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَمَا أَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ المُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حُرْمَتِكِ: مَالِهِ ودَمِهِ }[٢٧]

ولكن الله ﷻ قال ﴿ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ لابد من استغفار الرسول، ثم بعد ذلك: ﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ لوجدوا الله بمعانى التواب وبمعانى الرحيم فيك، لأن معانى الأسماء والصفات تظهر أين ؟ تظهر فى "عبد" ... فالله ﷻ جلَّ وتنزه فى ذاته، لا يستطيع أحدٌ أن يطلع على ذرة من كمالاته إلا إذا ظهرت فى عبيد من عبيد ذاته .فأسماء الله الحسنى تظهر فى العبد وهو نبينا وإمامنا وحبيبنا وشفيعنا ﷺ ... وخذوا الدليل من كتاب الله تعالى ...

---

٢٧ اللفظ لابن ماجه، مصنف الصنعاني والترغيب والترهيب عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

وهذه للتمثيل وليس للحصر، نبدأ منها بقوله ﷺ فى المحكم المنزل فى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال).

الله ينادى ..﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لبيك اللهم لبيك .. ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الله .. والرسول .. يكونا اثنين ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ من الذى يدعو هنا؟ لم يقل الله (إذا دعاكما) بلفظ المثنى! ولكن بلفظ المفرد .. من يريد الله .. الرسول!!، إذاً الاستجابة لرسول الله هى الاستجابة لله .. هذه واحدة! ، وخذوا مثالا آخر من سورة التوبة (آية ٦٢) :

﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾

وهنا أيضاَ .. ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ اثنان ﴿ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ لم يقل الله (يرضوهما)، ولكن قال ﴿ يُرْضُوهُ ﴾ والضمير يعود على أقرب مذكور وهو رسول الله، إذاً الذى يُرضى رسول الله سوف يُرضى الله، وأيضاً ..:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠]

فطاعة رسول الله هى طاعة الله مباشرة بوضوح كامل، وأيضاً:.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [١٠الفتح].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا ﴾ لم يقل كأنما ولكن قال: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ للتأكيد ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ...

فقد وضع الأنصار والمهاجرون أيديهم ثم وضع رسول الله ﷺ يده اليمنى فوق أيديهم، ووضع يده اليسرى وقال: هذه عن عثمان، لأنه كان غائباً فى مكة .... وهنا نتسائل .....

يد من التى كانت فوق أيديهم؟

يد رسول الله ... أليس كذلك ... .

فلو قال الله (يد الله فوق أيديكم) لكانت هناك يد أخرى فوق أيدى الموجودين بما فيهم رسول الله، لكنه قال: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ فاليد التى كانت فوق أيديهم يد رسول الله ﷺ!! والتى وصفها الله بأنها يد الله !!، ونحن بذلك لا نُدخل الحبيب فى الألوهية، ولكن نوضح أن الله أنابه ﷺ مقام نفسه فى هذه الخصوصية، فهى نيابة عن حضرة الله!! ...

وبعد هذه النماذج القرآنية .. نقول أن القاعدة الجامعة المانعة عندنا:

((العبد عبدٌ وإن علا والربُّ ربٌ وإن تنزَّل))

فلن نصف العبد بأنه أصبح رباً! ولن نصف الربَّ ﷻ حاشاه أنه حلَّ فى عبد!! فلا يوجد أحدٌ فى الأمة سابقاً ولا لاحقاً وقع فى هذه الخطيئة.

فنحن جميعاً كما علَّمنا رسول الله ﷺ نقول فى التشهد فى الصلاة: (وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله) كما سبق وألمحنا .. فسبحان من علَّمه فأحسن تعليمه، وأدَّبه فأحسن تأديبه، وربَّاه فأحسن تربيته!!

إذاً هذه قضية وقع فيها الشيطان عندما خاف بها على حضرة الله ﷻ، وامتنع عن السجود لآدم، مع أن الذى أمره هو الله!! ...

وكذلك وقع فيها الجاهلون فى زماننا والأزمان السابقة ...، فخافوا على مقام الله !!!، مع أن الذى عظَّمه !! وكرَّمه هو الله !!، والذى أمرنا بتعظيمه وتكريمه هو الله .. لا أحد سواه!! ...

﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٩ ﴾ [الفتح]

تعزِّروه: .. أى تساعدوه وتعينوه على تبليغ دعوة الله.

وتوقِّروه: أى تبجِّلوه وتعظِّموه وترفعوا شأنه ومقامه كما وضعه الله، فلن يستطيع أحدٌ منا أن يصل إلى أقل القليل مما ذكره القرآن فى شأن رفعة مقام رسول الله ﷺ!!.

الإمام أبوالعزائم ﷺ وأرضاه لما تكلم عن رسول الله وأفاض فى الكلام عنه قال فى النهاية:

((وكلٌ يتكلم على قدره بما شرح الله صدره، أما كمالات هذا الدُرى المنير الممنوحة من العلى الوهاب ففوق الإدراك والتصوير، وماذا نقول فيمن قال الله فيه:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ [الأنبياء]

وماذا نقول فيمن قال الله فيه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]!!)

ثم قال بعد ذلك:

على قدرى أصوغ لك المديحا ومدحك صاغه ربى صريحا
ومن أنا يا إمام الرسل حتى أوفى قدرك السامى شروحا
ولكنى أحبك ملء قلبى فأسعد بالوصال فتىً جريحا
وداوى بالوصال فتىً معنَّى يروم القرب منك ليستريحا

فكل واحد فينا يتكلم على قدر ما يهبه مولاه من فتح فى آيات كتاب الله، لكن كمالات رسول الله ﷺ لن يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين أن يصل إلى بعض ذرة مما مدح الله به وأثنى عليه به فى كتابه!!.

فيجب أن ننتبه جميعاً لمثل هذه القضايا، ولابد أن ندافع عن سيدنا رسول الله، وننتصر لسيدنا رسول الله، لأن الله هو الذى أمرنا فى كتاب الله بذلك، فإذا لم تفعل فقد تخليت عن الوصية الإلهية التى أوصاك بها ربُّ البرية، فلابد أن نبين للناس هذه الحقائق ولا نترك الساحة لمن يقدحون فى رسول الله، ويحاولون أن يُنزلوا من مقامه العظيم الجاه الذى أحلَّه فيه مولاه.

فمن الجائز أن معظم ما حلَّ بالمسلمين فى هذا الزمان بسبب قلة الحبِّ لرسول الله ﷺ تأثراً بالسماع من هؤلاء القوم المبعدين، ... كيف ذلك؟ ياإخوانى ... مادامت الناس تحبُّ رسول الله ﷺ فإنها ستحرص على سنته، وتحرص على أخلاقه، وتحرص على كمالاته، .. مادامت تحبه ﷺ فستحرص على العمل بشريعته، وعندها يكون المجتمع كله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ ﴾مَعَهُۥٓ [الفتح:٢٩]

لكن عندما يقل عند الناس حبُّ رسول الله يبدأون بالتفريط فى

سُنَّته، وكذا يبدأون فى التكاسل عن الأوامر الشرعية، وعن تنفيذ التعليمات الربانية، .... وعندها تظهر فى الأُمة التحذيرات القرآنية:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور]

فالإسلام أمرنا أن نُعَظِّم رسول الله، وأمرنا أن نُبجِّل رسول الله، وأمرنا أن نُعَلِّم ذلك لأولادنا، قال ﷺ مبيناً المنهج التربوى الذى يجب أن نسير عليه أجمعين مع أولادنا:

{ أَدِبُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: حُب نَبِيكُمْ، وَحُب أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِل اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ }[٢٨]

من الذى ينفذ هذه الوصية اليوم؟

من ياإخوانى يربِّى أولاده اليوم على هذه الثلاث :

- حبِّ رسول الله ﷺ.
- حبِّ آل بيته الأبرار الأطهار.
- وحبِّ القرآن الكريم.

من نفَّذ هذه الوصية يا هناه، لأنه نفَّذ قول رسول الله ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٨ أَبُو نَصْرٍ عبد الكريم الشيرازي في فَوَائِدِهِ، وابنُ النَّجَّارِ عن عَلِيٍّ ﷺ. [جامع الأحاديث والمراسيل]

- أسرار الذكرى
- أفراح الروح
- بشارات وإكرامات
- بركة الصلاة على رسول الله ﷺ
- مهام النبى ﷺ

نعمة ميلاد رسول الله ﷺ [٢٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكرمنا بخير نبى أرسله لخلق الله، وجعلنا خير أُمة أخرجت للناس، واختار لنا خير دين وخير كتاب وجعلنا على خير هَدى اختاره الله ﷻ لأولى الألباب، والصلاة والسلام على نبينا الهادى ورسولنا مصباح العناية الربانية، وباب حضرة القرب لرب البرية، صلى الله عليه وعلى آله أهل القرب والعطية، وصحبه، وكل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين آمين يارب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

فى بدء حديثى بشرى لنا أجمعين فى هذا العام لأن الله ﷻ أجرى لنا خيراً فى ليلة خير الأنام كما أجراها للحبيب المصطفى عند ميلاده تماماً بتمام[٣٠]، حيث كان عام ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ عام قحط وجدب للجزيرة العربية كلها، ضنَّ الماء وهلك الزرع والضرع، والناس لا يدرون ماذا يفعلون، وفى ليلة ميلاده ﷺ جادت السماء بخير عمَّ جميع أنحاء الأرض حتى أن أرض الصحراء اخضرت وأينعت وأزهر نباتها بإذن ربها ... فكان هذا إيذاناً بأن ميلاده وبعثته خير لجميع الأنام كما وضح المولى ﷻ تماماً بتمام، ونحن والحمد لله نستبشر بأن هذا العام سيكون عام خير علينا وعلى إخواننا المسلمين أجمعين، والدليل أن الله نفحنا هذا المطر فى ليلة ميلاد سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

٢٩ كانت هذه المحاضرة بمسجد النور بالمعادى بتاريخ ١١ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ٢٥ من فبراير ٢٠١٠م.

٣٠ حيث نزل فى هذا التوقيت مطر غزير.

أسرار الذكرى

لماذا نحتفل بميلاد رسول الله ﷺ؟

لأن الله أمرنا فى قرآنه أن نتذكر هذا النبى ونتذكر الفضل الذى ساقه الله إلينا على يد هذا النبى، وقال الله لنا فى محكم الآيات القرآنية:

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أى نعمة يارب؟ هل هى نعمة الصحة أم نعمة الطعام أم نعمة الهواء أم نعمة الضياء أم نعمة الماء؟ بيَّن الله ووضح، ما هذه النعمة التى نتذكرها يارب؟ ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣]

النعمة التى ألفت بين القلوب، والتى أذهبت الضغائن والأحقاد من النفوس، والتى جعلت الإيمان يشرح الصدور ويملأ القلوب بالنور، والتى أذهبت الجفاء فى العلاقات.

والنعمة التى وطدت العلاقات فى جميع الجهات بين المؤمنين والمؤمنات حتى صار الأخ المؤمن الذى ليس قريب ولا نسيب ولا حسيب له فى القلب أكبر نصيب! أخوه المؤمن يفديه بنفسه ويرتضى أن يعطيه نصف ماله ونصف بيته ونصف كل خير أعطاه له ربه عن طيب نفس! ما النعمة التى فعلت كل ذلك؟ ..... هى نعمة رسول الله ﷺ.

ودعانا الله ﷻ لتَذَّكر هذه النعمة دوماً لأن مشاكلنا فى كل شئوننا شرقاً وغرباً فى مجتمعاتنا وفى بيوتنا وفى عائلاتنا وفى أسواقنا وفى تعاملاتنا لن تُحل إلا إذا تذكرنا هَدى نبينا الذى جاء به إلينا من ربنا لنسير على ضوئه

فى حياتنا فتنتهى كل المشاكل من بيننا، ولذلك يقول الله ﷻ لنا:

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [٥٤النور].

إذا أطعناه ﷺ اهتدينا إلى المنهج القويم .. والصراط المستقيم فى كل أمر من أمور حياتنا، وإذا خالفناه يقول ربنا ﷻ:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور].

إذاً عندما نتذكر رسول الله يوم ميلاده الشريف:

- نتذكر القيم القرآنية التى جاء بها من عند الله.
- ونتذكر الأخلاق القويمة التى كان عليها لنهتدى بها فى حياتنا.
- ونتذكر الشرع الشريف الذى جاء به من عند ربنا ليُصلح الله ﷻ به كل شئوننا.
- ونتذكر التعاليم الإلهية والعلوم الربانية والأسرار القرآنية التى جاء بها لنا من عند الله ﷻ.

ونبينا ﷺ كان يحتفل بميلاده بنفسه، ولكنه كان يحتفل بميلاده الإحتفال المناسب لذاته، فكان ﷺ يصوم يوم الإثنين دائماً :

{ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ؟ فقال ﷺ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ. وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ }[٣١]

٣١ صحيح مسلم عن أبى قتادة ﷺ

أى أنه يصومه شكراً لله على نعمة ميلاده صلوات ربه وتسليماته عليه فى هذا اليوم المبارك الميمون.

❁ أفراح الروح

ونحن نحتفى برسول الله كما أمرنا الله، بتذكر النعم والعطايا والمنن والخصائص التى ساقها لنا الله على يد سيدنا رسول الله ﷺ، لا مانع فى هذا اليوم من الفرح لأن الله ﷻ أمرنا فى القرآن أن نفرح، بأى شئ نفرح يارب؟ قال عز شأنه موجهاً لنا: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [٥٨يونس].

فالفرح الأعظم الذى وجهه لنا الله أن نفرح بفضل الله وبرحمة الله وبإكرام الله وبعطاءات الله التى أرسلها إلينا مع رسول الله ﷺ، وهذا هو الفرح الدائم، لأن الفرح به يدوم فى الدنيا ويوم الدين، أما الفرح بالمال ... أو الفرح بالمناصب .. أو الفرح بالمكاسب .. أو الفرح بالأولاد .. فلا يدوم إلا فترة محدودة مهما طالت .. فهو إذاً لا يدوم!، لكن الفرح بفضل الله وبإكرامات الله وبعطاءات الله فرحٌ يدوم.

أبو لهب كان أشد حرباً على النبى من أبى جهل، لأن أبا جهل كان يؤلب قبائل قريش، لكن أبولهب كان يمشى خلف النبى، وكلما ذهب إلى قوم يدعوهم إلى دين الله وإلى كتابه يمشى خلفه ويقول أنا عمه وأنا أعلم به منكم فلا تصدقوه، فكان أشد على النبى من أبى جهل!.

ولذلك ذكره الله فى كتابه وأنزل باسمه سورة كاملة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد]، رآه أخوه العباس عمُّ النبى ﷺ فى المنام بعد موته،

فقال له يا أخى ما بك؟ ... قال: أنا فى أشد ألوان العذاب!! إلا أنه يُخفف عنى العذاب كل ليلة إثنين، قال: ولِمَ؟

... قال: لأن جاريتى ثويبة لما وُلد محمد ابن أخى عبد الله جاءت إلىَّ وقالت: أبشر فقد وُلد لأخيك عبد الله غلام ... – وكان العرب فى ذاك الحين يفرحون بولادة الغلمان ويُساءون بولادة الإناث – قال:فقلت لها أنت حرة ...، قال: فخفف الله عنى ... ويخفف الله عنى كل ليلة إثنين دوماً !! ... لأنى فرحت بميلاد محمد .. وجعلت جاريتى ثويبة حرة لتلك البشرى التى بشرتنى!!.

وفى ذلك يقول الإمام ابن ناصر الدين الدمشقى ﷺ:

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِرًا جَاءَ ذَمُّهُ وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدَا
أَتَى أَنَّهُ فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ دَائِمًا يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلسُّرُورِ لأَحْمَدَا
فَمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِي كَانَ عُمْرُهُ بِأَحْمَدَ مَسْرُورًا وَمَاتَ مُوَحِّدَا

ما الظن بهذا العبد الذى يفرح برسول الله كلَّ عمره وعاش على الإيمان ومات على التوحيد للرحمن؟! هذا يكون سروره أعظم، وقد بشَّر النبى ﷺ من خالط حبه ﷺ قلبه فقال:

{ مَا اخْتَلَطَ حُبِي بِقَلْبِ عَبْدٍ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ }[٣٢]

فعلينا أن نفرح برسول الله فى هذه الليالى المباركة وفى كل أيامنا وأوقاتنا لأن الله ﷻ خصَّنا به بفضائل لا نستطيع عدها.

---

٣٢ جامع الأحاديث والمراسيل عن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا

۞ بشارات وإكرامات

فإن الله أكرمنا ببركة النبى وأعطانا فوق ما أعطى النبيين والمرسلين السابقين، وانظروا معى إلى آيات كتاب الله ﷻ وهى تحكى لنا ذلك، نبى الله إبراهيم – وكان يُسمى أبو الأنبياء – كان يدعوا الله دوماً فيقول:

﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩ ﴾ [الشعراء]

والخزى أى الفضيحة، والفضيحة يوم القيامة – حفظنا الله جميعاً من ذلك – تكون لمن يحاسب علانية أى يحاسبه الله أمام جميع الخلق! فيُخزى ويفتضح! ويظهر شأنه أمام الجميع، كان سيدنا إبراهيم يطلب من الله ألا يحث له ذلك، ... ابو الأنبياء يطاب ذلك!! ... أما نحن أُمة النبى ﷺ ... فمنَّ الله علينا ببركة النبى ... ورفع عنا ذلك ... وبشرنا وقال لنا:

﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [٨التحريم]

حفظنا الله من عذاب الخزى، إذاً كيف يكون حسابنا؟ من خصائص الله ﷻ لنا وتفضيله لنا عن سائر الأمم ما قال فيه ﷺ:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [٣٣]

أى نحن الآخرون فى البعث فى الدنيا ونحن الأولون فى الحساب غداً يوم القيامة! وقال أيضاً:

---

٣٣ صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ

{ نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال أين الأُمة المحمدية؟ فنحن الأولون الآخرون } وفى رواية: { المقضى لهم قبل الخلائق } [٣٤]

فنحن أظهر الله لنا فى القرآن مساوئ وعيوب الأمم السابقة ولكن الله ﷻ لن يأتى بأحد بعدنا حتى لا يعرف أحد مساوئنا وعيوبنا إلا الله ﷻ، والله ﷻ كريم يكرمنا ببركة النبى ﷺ فيجعلنا أول الأمم فى الحساب، كيف يكون الحساب؟ يكون الحساب لهذه الأمة دون سائر الأمم كما قال ﷺ:

{ يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ. فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ } ٣٥

لن يفتضح فى هذا اليوم من هذه الأُمة المرحومة إلا من جاهر بالكبائر!! واستمر يفعلها حتى الموت! ولم يتب إلى الله ﷻ منها، مع أن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار حتى تطلع الشمس من مغربها!.

وقد اختار الله ﷻ ذلك لهذه الأمة من قبل القبل، فقد روى فى الأثر

---

٣٤ سنن ابن ماجة عن ابن عباس ﷺ

٣٥ الصحيحين البخارى ومسلم عن ابن عمر ﷺ.

أن الله لما خلق الأمم وهى أرواح قبل الأجسام والأشباح، وخلق القلم ليكتب أقدار الأمم، وأملاه الله ﷻ: اكتب يا قلم .. أمة آدم من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى دخل النار!، فكتب القلم، فقال الله : أكتب ياقلم أمة نوح من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى دخل النار، واستمر حتى قال أُمة محمد، فهمَّ القلم أن يكتب ما كتبه لكل الأمم!، فناداه ربُّ العزة ﷻ: اسكت يا قلم!، فانشقَّ القلم من هيبة الله ﷻ، ثم قال له الله متفضلاً على هذه الأُمة وعلينا أجمعين: اكتب ياقلم .. أمة محمد ﷺ أُمةٌ مذنبةٌ وربٌّ غفور(ورد فى الأثر)، ولذلك جعل الله ﷻ لهذه الأمة المحمدية المرحومة خصوصية فى الحساب فى الآيات القرآنية التى يقول فيها ربُّ البرية:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦ ﴾ [الأحقاف]

أكرمنا الله ﷻ برسول الله ﷺ؛ فجعلنا ببركته ﷺ من أهل الشفاعة العظمى! .. كيف ذلك؟ أبيِّنُ لكم : يشفع لنا الحبيب ﷺ .. وليس هذا فحسب ... بل ومنَّ الله علينا بأن جعل بعضنا يشفع فى بعض ..ياللرحمة..

فيشفع رسول الله ﷺ لنا كما يشفع فى الأمم السابقة كما وضح كتاب ربنا ﷻ، ففى الأمم السابقة يقول الله: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١ ﴾ [النساء]، وفينا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة:١٤٣] ....

فأوجب الله ﷻ لنا شفاعة رسول الله ﷺ، وأطلق الله ﷻ لنا الشفاعة فى بعضنا حتى قال نبينا ﷺ:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوَانِ فَإِنَّ لِكُل مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٣٦]

لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة يعطيها له الله يشفع فيها فيمن يريد فضلاً من الله! وإكراماً من الله! وخصوصية لهذه الأمة ببركة رسول الله ﷺ.

۞ بركة الصلاة على رسول الله ﷺ

وجعل نبينا ﷺ شفاعته بسبب يسير، وعمل يسير غير عسير ولا ثقيل، فقال ﷺ:

{ مَنْ صَلّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً، وحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ }[٣٧]

وسمى الله ﷻ الصلاة على النبى صلاة ..، ولكنها لا تحتاج إلى وضوء! ولا تحتاج إلى استقبال القبلة! ولا تحتاج إلى التواجد فى المسجد!، فيستطيع الإنسان أن يصلى على أى هيئة وفى أى وزمان ومكان، فإذا حافظ على الصلاة على النبى ﷺ عشراً حين يصبح .. وعشراً حين يمسى وجبت له شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة .. أهذا واضح يا إخوانى الكرام!

ولذا ورد أن رجلاً كان يحج البيت الحرام ويطوف بالبيت، فلا يرفع قدماً ولا يضعها إلا ويصلى على النبى ﷺ، فقال له إمام أهل العراق سفيان

---

٣٦ (ابن النَّجَّارِ) في تاريخِهِ عن أنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ. [جامع الأحاديث والمراسيل]

٣٧ رواه الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ

الثورى ﷺ: يا هذا ماذا تفعل؟ – يذكره بأن الطواف وقت الدعاء ووقت ذكر الله ولا ينبغى أن يقتصر على الصلاة على النبى – فقال له الرجل: من أنت؟ قال: أنا سفيان الثورى، قال: أنت عالم العراق؟ قال: نعم، قال: اجلس معى أحدثك بسبب ذلك – فتنحيا عن المطاف وجلسا معاً – فقال: لولا أنك سفيان الثورى عالم العراق ما حكيت لك سبب ذلك.

خرجت هذا العام أنا وأبى لحج بيت الله الحرام، وكان أبى مسرفاً على نفسه، ولما وصلنا إلى مِنى فى طريقنا لأداء الحج وافته المنية، ولما مات رأيت وجهه وقد اسودَّ فغطيته وحزنت لذلك حزناً شديداً، ومن شدة تواجدى وحزنى أخذنى النوم؛ فرأيت رجلاً شديد بياض الوجه شديد بياض الثياب جاء إلى أبى ورفع الغطاء عن وجهه ومسح وجهه بيده فابيضَّ وجهه، وكان معه ورقة صغيرة فأعطاها له فى يده، فقلت له من أنت؟ ومن الذى أدراك بى؟ ومن الذى أرسلك إلىَّ؟

فقال: أوما تعرفنى أنا نبيك محمد، كان أبوك مسرفاً على نفسه ولكنه كان لا ينام إلا إذا صلى علىَّ، فلما حضره من أمر الله ﷻ ما رأيت استنجد بى! فجئت لنجدته وأعطيته هذه الوريقة التى رأيتها وفيها صلاته علىَّ التى كان يصلى علىَّ بها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

ما أحوجنا جميعاً فى هذه الأيام والليالى إلى تدبر الآيات القرآنية التى يتحدث فيها الله ﷻ عن نبيه ﷺ، فقد علم الله جلَّ فى علاه أنه لا يستطيع أحدٌ من الخلق مهما أوتى من علم أو بيان أن يصف حبيبه ومصطفاه فوصفه الله ﷻ بنفسه فى آيات كتاب الله ....

ولذلك ورد أن الإمام عمر بن الفارض ﷺ – وكان له قصائد جمة فى الثناء على الله وفى مناجاة مولاه ﷻ – لما مات رآه أحد إخوانه فى المنام فقال له يا سيدى: لِمَ لم تمدح رسول الله ﷺ بقصائدك؟ فأجابه مناماً[٣٨]:

أرى كلَّ مدح فى النبى مُقصرا وإن بالغ المُثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

كيف يتحدث الخلق عن سيد الخلق بعد أن تحدث عنه الحق ﷻ؟! والله ﷻ تحدث عن نبيه فى كثير من آياته القرآنية، بل إنه ﷻ جعل محور حديثه فى القرآن عن نبينا الهادى صلوات ربى وتسليماته عليه.

❁ من مهام النبى ﷺ

فإذا تدبرنا كلمة واحدة من الآية التى يصف الله ﷻ لنا فيها مهام النبى نحونا كأنها بلغة عصرنا خطاب التكليف لنبينا، فإذا اختار رئيس الدولة رئيساً للوزراء يعطيه خطاب تكليف فيه مهام هذه الوزارة، والله ﷻ اختار نبيه لدعوة الخلق إلى الله وكلفه بذلك، ما مهام هذه الدعوة؟ قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب].

كم فضيلة وكم تكليف؟ خمسة .. ، لابد لكل مؤمن أن يتعرف ولو بتعريف بسيط على هذه التكاليف النبوية حتى يتعرف على نبيه، لأن الله

٣٨ شذرات الذهب لإبن عماد المشقى الحنبلى.

ﷺ أمرنا أن نتعرف عليه من جهة نبوته، ليس الشأن أن تعرفه من جهة جسده ومن جهة شكله ومن جهة لونه مع أن ذلك ثابت! لا.. لكن الشأن لنا أجمعين أن نعرفه من الجهة التى أرسله الله إلينا بها وهى جهة النبوة:

وسنتناول هنا تكليفاً واحداً من هذه التكليفات باختصار وهو مهمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ يشهد على الأمم السابقة ... ويشهد علينا جماعة المؤمنين، كيف يشهد علينا؟ ويزعم البعض أنه مات ودفن ولا يطلّع علينا؟!! هل هناك شاهدٌ يشهد على شئ لم تره عينه؟!! لو كان كذلك فإنه سيكون شاهد زور!! لكنه قال لنا فى حديثه الصحيح:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْت مِنْ خَيْرٍ حَمِدْت اللَّهَ عَلَيْهِ وَمَا رَأَيْت مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْت اللَّهَ لَكُمْ } [٣٩]

مَن المحامى العام لجميع الأنام يوم الزحام؟ المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهل يليق بمحامى أن يترافع فى قضية لم يطلع على أوراقها ويعرف ما بها؟!! فلكى يترافع عنا ويدافع عنا لابد أن يطلع على ملفاتنا ولذلك قال: { تُعرض علىَّ أعمالكم } إذا كان ربُّ البرية يقول فى بعض المؤمنين فى حديثه القدسى الذى يحدث به المصطفى ﷺ:

{ مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبّ إِلَيّ مِمّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيّ بِالنّوَافِلِ حَتّى أُحِبّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الّذِي

---

٣٩ الإمام البزار والطبرانى رضى الله عنهما

يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ }[٤٠]

فإذا كان ذلك فى بعض المؤمنين فما بالكم بإمام الأولين والآخرين ﷺ!!!.... إن الله ﷻ يتفضل عليه فيعطيه نوراً من نوره .. ويكشف له أسراره ... ولذلك قال الله لنا أجمعين:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [التوبة].

أرسله الله ﷻ لنا بالإيمان، وأركان الإيمان يقول فيها الرحمن: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [٣البقرة] نحن نؤمن بالله وهو غيبٌ لا تراه العيون ولكن تشعر بعظمته القلوب، ونؤمن بالجنة ولم نرها، ونؤمن بالنار ولم نطلع عليها، ونؤمن بالملائكة ولم نسمع حديثهم مع أنهم يرافقوننا ويبيتون معنا ويتحركون معنا .... ما الذى جعلنا نؤمن بهذا الغيب؟

أن الله ﷻ أرسل لنا نبياً صادقاً أطلعه على هذا الغيب، ثم حدثنا عن هذا الغيب حديث من رأى ومن سمع، فآمنا به وصدقنا بالنور الذى أُنزل معه، ولذلك كان ﷺ عندما يتحدث عن الجنة أو النار يقول:

---

٤٠ صحيح البخارى عن أبى هريرة ﷺ

{والذي نفسي بيده لقد عُرِضَتْ عليَّ الجنة والنارُ آنفاً في عرضِ هذا الحائط وأنا أُصلي، فلم أرَ كاليوم في الخير والشرّ }[٤١]

أى أنه يصف الجنة وصف من يراها، ولذلك قال يوماً:

{ما دَخَلْتُ الجَنَّةَ إلا سَمِعْتُ خَشْخَشَةً، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: بِلالٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بقصرٍ مشيدٍ بديعٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذا؟ قالوا: لِرَجُلٍ مِن أُمَّةِ محمَّدٍ، فَقُلْتُ: أنا محمَّدٌ، لِمَنْ هذا القَصْرُ؟ قالوا: لِرَجُلٍ منَ العربِ، فقلتُ: أنا عربي، لِمَنْ هذا القصرُ؟ قالوا: لِعُمَرَ بنِ الخطابِ، فقالَ لبلال: بمَ سبَقْتَنِي إلى الجَنَّةِ؟ قالَ: ما أَحْدَثْتُ إلا توضَّأْتُ، وما توضَّأْتُ إلا صَلَّيْتُ، وقالَ لعمرَ بن الخطابِ: لولا غَيْرَتُكَ لَدَخَلْتُ القَصْرَ، فقالَ: يا رسولَ الله، لَمْ أَكنْ لأغَار عَلَيْكَ }[٤٢]

وعن البراء ﷺ قال:{ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللّهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ }[٤٣]

أخذه الله ﷻ فى ليلة الإسراء والمعراج وأدخله جنته ليطلع على ما أعد الله ﷻ للمؤمنين ويصير شاهداً على ذلك كله، ثم يُخبرنا بما رآه فتزداد

---

٤١ صحيح البخارى عن أنس ﷺ

٤٢ صحيح ابن حبان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه

٤٣ الصحيحين البخارى ومسلم

يقيناً .. لأن هذا خبر الشاهد المشاهد الصادق الوعد الأمين، فنقوم لله ﷻ عاملين بما أخبرنا به سيد الأولين والآخرين ولذلك قال ربنا: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن] وقد ارتضاه واصطفاه وإلى حضرته رقَّاه وكشف له هذه الغيوب فوصفها لنا صفة نورانية ربانية فآمنا بما رآه وصدقنا بما أخبرنا به من عند الله ﷻ.

وهو ﷺ شاهداً لكل خصائص الأشياء التى خلقها الله، ولذلك ما أخبر من خبر إلا وجاء فى عصرنا وبعد عصرنا سيأتى العلم الحديث ويُصدق ما أخبر به نبينا إن كان فى الجلوس أو فى المشى أو حتى فى النوم – مثل النوم على الجانب الأيمن– أو فى أى أمر أو أى عمل.

ولذلك لا ينبغى لمؤمن أن يقول إن هذا الحديث يخالف العلم، إذا كان العلم لم يصل بعد إلى كنه هذا الحديث فالعيب فى العلم!! لكن الحديث يقول فيه الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم].

ولا ينبغى لمؤمن أن يُحَكِّم عقله فى قول نبيه، ويقول فى حديثه إن هذا حديث لا يدخل العقل، وما للعقل وما ثبت فى صحيح النقل عن حضرته ﷺ؟!! وما للعقل وما للوحى الذى أوحى به الله ﷻ إليه؟!! إذا كان الإنسان مع تقدم العلم الحديث لم يصل إلى الآن إلى معرفة العقل! أين هو العقل؟ وما موضع العقل فى جسم الإنسان؟ أين موضعه؟ وما هيئته؟ فإذا كان الإنسان لم يصل إلى الآن إلى معرفة العقل فكيف يحكم بالعقل الذى لا يعرفه!! على الوحى الذى نزل به نبينا ﷺ؟!!

فكل ما جاءنا به من عند الله هو حق واضح لا مراء فيه ولا جدال لأنه عن شهود لا لبس فيه ولا فكر ولا وهم ولا خيال ! وما علينا إلا أن

نعمل فيه بقول الواحد المتعال :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ .... ثم يُحذر الذين ينكرون أو ينكثون أو يبدلون فيقول الله تعالى لهم : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر].. وخذوا أمثلة وهى تفوق الحصر ... لأنهم كانوا يوقنون أن أمره ﷺ .. أمر!

كان أصحاب حضرة النبى كان يتأخر نصرهم إذا تركوا سُنة من سنن النبى!! فإذا عملوها جاء النصر فوراً من عند الله العلى... كيف؟

لما دخلوا بلدنا مصر وحاصروا حصن بابليون –فى القاهرة الآن– مكثوا ستة أشهر ولم يُفتح الحصن!، فقالو: لابد أننا تركنا سُنة من سنن الله، أو من سنن رسول الله، لأن الله ما عودنا أن يؤخر نصره علينا، فبحثوا فوجدوا أنهم تركوا سُنة استخدام السواك التى علمها لهم ﷺ وقال فيها: { لأن أصلي ركعتين بسواك أحب إلى من أن أصلي سبعين ركعة بغير سواك }٤٤، وقال فيه أيضاً: { لولا أن أشُقَّ عَلَى أُمَّتي ـ أو على الناسِ ـ لأمرتهم بالسواكِ مع كلّ صلاة }٤٥..... فاستخدموا السواك؛ فرآهم أهل الحصن، فقالوا لبعضهم: لقد جاءهم مددٌ يأكلون الخشب!! فإذا كنا لم نستطع أن نقاتل هؤلاء!! فكيف سنقاتل من يأكلون الخشب؟!! فهيا بنا نُسلِّم الحصن لهم، فسلَّموا لهم ببركة قيامهم وعملهم بسُنة رسول الله ﷺ!!.

فكل هذا شذرة من قطرة من أسرار قوله تعالى: ﴿ شَـٰهِدًا ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٤٤ تحفة الأحوذى عن ابن عباس رضى الله عنهما
٤٥ الصحيحين البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ

- صلاة الله على نبيه ﷺ
- صلاة الصلة للمؤمنين
- أنوار الجمال

نور الصلاة على النبي[٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب]

سنتكلم على قدر أهل الإيقان والتسليم فى هذا المقام العظيم، فقد تاه العلماء واحتار الحكماء فى هذه الآية التى أنزلها الله تفخيماً وتعظيماً لقدر حبيبه ومصطفاه ﷺ، وكيف أن الله ﷻ بدأ بذاته وثنَّى بملائكته، كيف يصلى عليه الله؟ هناك من خَمَّن ومن قدح ذهنه ومن كدح فكره حتى يأتى بتأويل مناسب للآية:

فمن يقول أن الصلاة من الله الرحمة! والصلاة من الملائكة طلب المغفرة! ومن يقول الصلاة من الله الرضوان! والصلاة من الملائكة طلب الرحمة من الرحمن .... كل تلك المعانى راقية وجميلة! ولكن كلام الرحمن له أسرارٌ أدق وأعجب!، فالآية واضحةٌ وجلية ولا تحتاج إلا إلى قلوب خليَّة تسمع الآية عند نطقها من ربِّ البرية، فيملأ الله ﷻ فؤادها بالمعانى الإلهية التى ينبغى أن تفقهها البريَّة .. ولنتلمس معاً قبساً من تلك المعانى !!!!

كان الله ﷻ ولا شئ معه، وأَحبَّ أن يُعرف فخلق الخلق ليعرفوه، فحبيبه ﷺ عرفوه، فهو الواسطة بين الحق والخلق، وهو الميزاب الذى يتنزل منه كل عطاءات الحق إلى الخلق، فكل عطاءات الله إلى خلق الله بابها

---

٤٦ كانت هذه المحاضرة بحدائق المعادى بتاريخ ١١ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ٢٥ من فبراير ٢٠١٠م

وميزابها وسر فيضها وسبب فضلها هو رسول الله ﷺ، ولذلك يقول تعالى:

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ [٢٠الإسراء]

بعض إخواننا العلماء أهل الفكر أخطأوا فقالوا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ هم المسلمون والكافرون، لكن هل الكافرين لهم عطاء من الله؟!! لكنا نقول ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ هم السابقون واللاحقون، ماقبله وما بعده، ما قبله من النبيين والمرسلين وأممهم وما بعده من العلماء العاملين والورثة الروحانيين وأتباعهم، أما ما يُعطى للكافرين فهو ابتلاء: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل:٤٠] لكن العطاء إذا كان من الله ﷻ لا يُسائل صاحبه يوم العرض والجزاء، هل يسائل أحد صاحبه عن هدية أهداها له؟!

فمصدر كل عطاء وباب كل خير للسابقين من الرسل والأنبياء واللاحقين من الورثة الروحانيين والصالحين والأولياء وأُممهم وأتباعهم ... كلهم يترل العطاء أولاً على سيد الرسل والأنبياء ثم منه إليهم سر قوله ﷺ:

{ اللهُ المعطِي وأنا القاسمُ }[٤٧]

وهذا أمر إلهى صريح ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣٩ص]، فأعلمنا الله فى الآية أن كل عناية وكل رعاية وكل هداية وكل سابقة حسنى أزلية وكل إمدادات روحانية أو باطنية أو نورانية أو شهودية أو إحسانية أو إيقانية، وكل تفضلات إلهية غيبية .... فإنما تترل من الله على خير البرية ثم منه يتم توزيع العطية على المستحق لذلك من أهل السابقية.

---

٤٧ صحيح البخارى عن معاوية ﷺ، ونص الحديث: «مَن يُردِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين، واللهُ المعطِي وأنا القاسمُ، ولا تزالُ هذهِ الأمَّة ظاهرينَ على مَن خالفَهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهرون»

صلاة الله على نبيه

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ والصلاة فى المعنى العام صِلة، فكل صِلات الله ... وكل عطاءات الله .... وكل فتوحات الله ... وكل إكرامات الله ... وكل نعم الله الخاصة لأهل عناية الله ... تنزل أولاً على رسول الله ... سواءاً النعم الذاتية من الحضرة الإلهية ... أو النعم التى تسوقها الملائكة من حضرة الربوبية.

لأن حضرة الربوبية تربيَّة لكل البرية، والذى يسوق العطايا من حضرة الربوبية إلى الخلق هم الملائكة الموكلون بها ... لكن نعم حضرة الله تنزل على قلوب الصادقين والمخلصين والصالحين مباشرة منه سبحانه.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤الفتح] تنزل مباشرة بدون واسطة! من الملائكة وكذلك قوله ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف] المقام اللدنى.

والمقامات الذاتية يإخوانى ثلاثة مقامات:

مقام المعيَّة ومقام العنديَّة ومقام اللدنيَّة، والعطاءات تتنزل منها على قلوب المستحقين لها من أهل السابقية على حسب تقرير الحضرة المحمدية!، هو الذى يطلب العطاء، ويتنزل بطلب سيد الرسل والأنبياء، أو بتوجه سيد الرسل والأنبياء إلى حضرة الله ﷻ، فينزل العطاء على حضرته، ثم يوزعه على عباد الله ﷻ المملوءة قلوبهم بالحب الصادق لحضرته ﷺ.

لكن العطاءات فى مقام الربوبية تتصرف فيها الملائكة، وهذه أيضاً تنزل كلها على سيدنا رسول الله، وهو يوزعها بما شاء على جميع خلق الله.

إذاً النعم الذاتية لأهل الخصوصية، والنعم الربانية لجميع البرية، فكل ذلك من الحضرة المحمدية، ويأتى له ذلك من الحضرة الإلهية، ولذلك قال الإمام الشافعى ﷺ:

{ أمسينا وما بنا من نعمة ظاهرة أو باطنة فى دين أو دنيا إلا ورسول الله ﷺ سببها وهو الذى أوصلها إلينا }.[٤٨]

فأنبأنا الله وأخبرنا معاشر المؤمنين لحبه سبحانه لنا، وحتى لا نتوه كما تاه السابقون، وقال لنا عطائى كله مع هذا النبى وإكرامى كله مع هذا الصفى .. سواءاً الذاتى الذى أُنزله مباشرة، أو الربانى الذى تنزله الملائكة مثل الرياح والأمطار والأشجار والنباتات، فقال لنا الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ صِلوه دائماً تأتى لكم العطايا على الدوام! ...كيف نصله؟

وضَّح لنا إمامنا ومرشدنا الإمام أبوالعزائم ﷺ الأمر فقال:

صلوا عليه وسلموا بقلوبكم فهو الحبيب وشمسه قد أشرقت

صلِّ عليه بقلبك وليس بلسانك، فبلسانك ستأخذ حسنات، لكنك تريد صلات وعطاءات وهبات نورانيات وذاتيات فلابد من أن تُعَلِّق قلبك بالحبيب، ولا تجعل لأحد معه فى الهوى عندك له نصيب، حتى ولو كان أقرب المقربين إليك والمحيطين بك من أهل أو قريب.

---

٤٨ وقال أحمد بن عجيبة فى تفسير البحر المديد فى الصلاة على النبى ﷺ : { وفيها من شُكر الواسطة في نعم الله علينا المأمورين بشكره، وما من نعمة لله علينا، سابقة ولا لاحقة؛ من نعمة الإيجاد والإمداد في الدنيا والآخرة، إلا وهو ﷺ السبب في وصولها إلينا، وإجرائها علينا، فوجب حقه علينا، ووجب علينا في شكر نعمته ألا نفتر عن الصلاة عليه مع دخول كل نفس وخروجه }.

صلاة الصلة للمؤمنين

صلوا عليه وسلموا بقلـــوبكم فهو الحبيب وشمسه قد أشرقت
يا نـــور قلـــبى نظـــرة لمتـــيَّم يحيا بها فالروح مـــنَّ شُـــوِقت

كيف نصلى عليه؟ نَصِلُ قلوبنا بقلبه ﷺ، وحتى توصـــل القلـــوب بالحبيب لابد أن تطهر من الغير وتطيب، كما قال الإمام أبوالعزائم ﷺ:

واخلع ســـوانا فى الجمـــع طَـــرّاً فالخلع يهـــدى والجمـــع يُفـــنى

وقال أيضاً:

فاخلع سواه وكن صبابة مغـــرم وبعه نفسك والأموال يُعطيـــك

إذا كان الأنبياء والمرسلون وأولو العزم منهم كـــانوا يتنافســـون فى حبِّ سيد الأولين والآخرين حتى ينالوا العطاءات التى يريدونها من الله ﷻ! فموسى كليم ونجيه وصفيه كان كل أمله نظرة من مولاه، إذ أخبرعنه الله:

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ [١٤٣الأعراف]

أى لن ترانى وأنت فى عالم الأشباح والأجسام والمبانى، ولمن إنظر إلى الجبل ..إلى القلب الذى جعله الله محلاً للقرب والتدانى!! فَـــإنِ اسْـــتَقَرَّ فى مَكَانَهُ على حبِّ ربه وعلى حبِّ حبيبه ولم يتغير ولم يتحول فَسَوْفَ تَرَانِي!.

عرف سيدنا موسى الحقيقة فطلب من الله ﷻ أن يكون على طريقه ﷺ حتى يتملى بشهود جمالات الله ﷻ فى ذاته، لأنه عرف أنه لن يشهد أحدٌ

الله إلا فى مظهر، إلا الحبيب الأكرم!!، فطلب من الله أن يجعله يقف على طريق المظهر !! ليشهد هذه الجمالات والكمالات فيه:

وإنما السرُّ فى موسى يــرددهليجتلى حُسن مولاه حين يشهده

ليرى أنوار الله التى تجلت فى حبيب الله ومصطفاه، فرسول الله ﷺ هو شاشة الأسماء والصفات الإلهية، لا تظهر الأسماء الإلهية والصفات الربانية إلا فى مظهر أكمل وهو الحبيب الأعظم ﷺ، وفيه وبه ومنه يشهد الشاهدون ويلوح جمال الله ﷻ للمرادين والمطلوبين! ... لأنه ﷻ جعله ﷺ الشاشة التى يتجلى فيها للأنبياء والمرسلين والصالحين والمقربين من بدء البدء إلى نهاية النهايات .. ولذا وقف موسى عليه السلام على طريق سيدنا رسول الله ويرده ليس من أجلنا فى الحقيقة– لأنه يعلم علم اليقين أن الله ﷻ إذا أمرنا بأمر قوانا وأعاننا عليه؛ فلو فرض علينا خمسين صلاة لأعاننا عليها– ولكنه يريد أن يتمتع بما كان يتمناه وهو شهود وجه الله فى حبيب الله ومصطفاه !! لأنه المظهر الأكمل الذى لاح فيه جمال الله ﷻ لأنبياء الله ورسل الله.

وحذارِ أن تعتقد أن هذا الجمال حسىٌّ، فهناك جمال روحانى وهناك جمال ربانى .. وهناك جمال صفاتى .. وهناك جمال أسمائى .. وهناك جمال ذاتى .. وهناك الجمال الحسى المشهود ..، وهذا الجمال الحسى كان ﷺ له فيه الغاية القصوى، ولذلك سيدنا يوسف الذى انبهر من جماله الحسى النسوة وقطعن أيديهن أوتى نصف جمال رسول الله ﷺ الحسى، قال ﷺ:

{ أُعطى يوسف شطر الحُسن }[٤٩]

[٤٩] رواه أبو يعلى، وكذا مسلم عن أنس ﷺ وغيرهما

أى أن سيدنا يوسف أوتى نصف الجمال الحسى، ومع ذلك لما رأته النسوة وكان فى يد كل واحدة تفاحة وسكين قطعن أيديهن بدلاً من التفاح عند مشاهدتهن لجمال يوسف الحسى، فما بالك بجمال سيدنا رسول الله ﷺ الروحانى؟!! وما بالك بجمال سيدنا رسول الله ﷺ الربانى؟!! وما بالك بجمال سيدنا رسول الله ﷺ الذاتى؟!! عين الحسِّ تشهد الحسَّ، وعين القلب تشهد أنوار حضرة الرب، وعين الفؤاد تشهد الحبيب الأعظم ﷺ بلا بعاد، وعين الروح تشهد الجمالات الإلهية الظاهرة فى خير البرية، وعين النفخة القدسية تشهد الجمالات الذاتية التى اختص بها الله ﷻ الحضرة المحمدية .. كلها جمالات وكلها كمالات، وبدءها ومنتهاها العشق الكامل لهذه الذات.

فلو أن إنسان أحب إنسانة، ويريد أن يُظهر لها أنه متعلق بها فيبعث إليها خطابات وتحيات وينظر إليها بنظرات ويستقبلها ويودعها بابتسامات، متى تستجيب له؟ إذا تأكدت أنه صادق فى هذا الأمر، إحدى الصالحات ضربت مثلاً لمريد فى هذا الأمر بعد أن ادَّعى أنه يحبها، فقالت له: أنت تحبنى أكثر أم فلانة التى وراءك؟ فالتفت خلفه، فضربته على وجهه وقال: أنت لا تنفع لنا لأنك التفت لغيرنا!!:

من لفتةٍ حجبة والحجب نار لظى من فوق نار الغضى سيرى لمنان

فالذى يحب الحبيب لابد أن يعيش دوماً هايم فى جمال الحبيب، إذا مشى لا يوجد غيره على باله، وإذا نام لا يوجد غيره فى خياله، وإذا تكلم لا يسمع فى كلامه إلا نغمات كلامه، وإذا تكلم الخلق معه لا يسمع إلا من فمه ويتلذذ بكلامه ..... فيعيش كما يقولون: (كلى بكلك مشغول أيا أملى) وهذه هى الأحوال التى بها ارتقى الصالحون والمحبون لسيد الأولين

والآخرين ﷺ، وبلغوا المنازل العليا، ولذا ورد أن الله تعالى :

{ أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أتُريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك، ومن وسواس قلبك إلى قلبك، ومن روحك إلى بدنك، ومن نور بصرك إلى عينيك؟ قال: نعم يا رب، قال: فأكثر من الصلاة على محمد ﷺ } [٥٠]

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى ونورك فى قلبى فكيف تغيب

سيدنا أبوبكر رضي الله عنه كان يجلس مع سيدنا رسول الله إلى منتصف الليل، ثم يأذن له سيدنا رسول الله بالإنصراف – وكان بيت سيدنا أبو بكر بالعوالى خارج المدينة – وعندما يصل إلى بيته يقول اشتقت إلى رسول الله ﷺ، ردونى إلى رسول الله ﷺ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ كلهم على هذه الشاكلة، حتى أن أحدهم وهو سيدنا عبد الله بن زيد لما وصله خبر لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى قال: اللهم خذ بصرى حتى لا أرى بعد حبيبى محمد أحداً أبداً، فأخذ الله بصره فى الحال!!.

أنوار الجمال

إن الذى يؤجج هذا الغرام لرسول الله ﷺ الشوق الدائم إلى حضرته ﷺ، والذى يزيده هياماً إذا لاحت بارقة من أنوار طلعته، فالإنسان يحتاج إلى الجهاد فى البداية حتى تلوح له بارقة من أنوار حضرته، بعد ذلك لن يلتفت لا إلى يمين ولا شمال، لكن الإنسان الذى يريد المال والأولاد وغير

٥٠ تفسير البحر المديد، وحلية الأولياء.

ذلك ويريد مع ذلك حضرة النبي! أين القلب الذى يسع كل ذلك! ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [٤الأحزاب] فلا يدخل القلب إلا واحد، ورسول الله حدَّد الجهاد فى هذا الباب فقال:

{ لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[٥١]

فالإنسان إذا لم يصل لهذا الحال عليه أن يجاهد، فيذهب إلى أهل هذا المقام العالى ويزاحمهم ويُكثر من زيارتهم ويُكثر من مودتهم حتى يُعديه حالهم، وهذا سبب تردد الناس على الصالحين، لأن الإنسان عندما يكون مع الصالحين يكون كأصحاب حضرة النبى ﷺ، قال سيدنا حنظلة رضي الله عنه:

{ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ فَوَعَظَنَا فَذَكَّرَ النَّارَ. قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ إِلَىٰ الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلاَعَبْتُ الْمَرْأَةَ،قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ. فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ. فَلَقِينَا رَسُولَ اللّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ نَافَقَ حَنْظَلَةُ. فَقَالَ: مَهْ، فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ. فَقَالَ:يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً. وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ، حَتَّىٰ تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ}[٥٢]

وكانوا رضوان الله عليهم يُطَّبقون فى الحال، فكانوا يرون الملائكة وتراهم الملائكة، وكانوا يتمتعون بالأنوار الذاتية والربانية والنورانية فى ذات

---

٥١ صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

٥٢ صحيح مسلم

خير البرية فى كل أنفاسهم فى حياتهم الدنيوية، فإذا فارقوا الدار الدنيوية فهم إما فى المعية، وإما فى العندية، وإما فى اللدنية ... وكلهم فى قاب قوسين أو أدنى فى مقامات القرب من رب البرية ﷻ.

ولذلك يذهب الناس للصالحين، حتى يُحضِّروا قلوبهم، ويُشوقوا نفوسهم، ويُزَهِّدوهم فى الفانى، ويُرَغِّبوهم فى الباقى، ويلوح لهم فى هؤلاء الصالحين جمال سيد الأولين والآخرين ﷺ، جمال أحواله وجمال أخلاقه وجمال صفاته وجمال تواضعه وجمال علمه ....!!!!

ثم بعد ذلك إذا داوموا يلوح لهم جمال أنواره وجمال أسراره وكمالات ذاته ﷺ، وهذا سرُّ تردِّد الناس إلى الصالحين، ولا يوجد شئ يُقَوِّى الوجد والهيام إلا هذا الأمر، والصالحون لا يحتاجون إلى أحد من الخلق، بل إن كل واحد منهم يريد أن يفرَّ من الخلق حتى يظل فى جلوة وخلوة مع الحق، وفى ذلك يقول الإمام أبوالعزائم ﷺ:

لولا الذين تحبهم لفررت من ... كلِّ الخلائق سائحا فرَّارا
قلبى لديك وبالبرلس هيكلى ... أوصلْ إليك الصبَّ أعْلِ منَارا

فالصالحون هم الذين يؤجِّجون نار الغرام، وهم الذين يُقوون الهيام، وهم الذين يزيدون الوجد والإصطلام، وهم الذين يُظهرون كمالات الحبيب المصطفى للأنام، فلذلك تتردَّد عليهم الخلائق، لأن التردُّد على الصالحين هو الذى يُجلى القلب من الدنيا .. والشهوات .. والحظوظ.. والأهواء .. والمستحسنات .. والمستلذات !!!

فالذى يجلى القلب من هذه الأمور مودَّة الصالحين والجلوس معهم...

والذى يذهب للصالحين لابد أن يذهب وهو مسافر من الدنيا وذاهب إلى الآخرة، ويترك كل أمور الدنيا وراء ظهره:

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾ [١٥٣آل عمران]

فيجد اليقين .. ويجد النور المبين .. ويجد معارج المقربين .. ويجد شراب الأرواح .. ويجد طلعة الكريم المنعم الفتاح.

يجد كل هذه النعم والمنن النورانية والإلهية فى حضرات الصالحين، لكن الذى يذهب للصالحين ليأكل ويشرب فإنه يأكل فى بطنه ناراً، لكن قبل أن تذهب للصالحين لابد أن تُعلى همتك من أجل الأنوار الراقية والمقامات السامية والمواجهات الراقية الموجودة فى هذه الحضرات، لكن الطعام والشراب جعلوه من أجل الملاطفات والمؤانسات، لأنه لو لم يكن الطعام والشراب فإن الذى يذهب إليهم لن يعود مرة أخرى للأنام لأنه سيشرب الراح ويترك الدنيا، قال ﷺ:

{حُبِّبَ إليَّ مِنَ الدُّنْيا النساءُ والطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ}[٥٣]

لماذا؟ حتى يظل بيننا، كثير من الصالحين عندما يعلو ويرتقى ويصبح فى الإلهانية يعود مرة أخرى إلى البشرية حتى يظل فى الحياة الوسطية التى نادى بها الله ﷻ هذه الأُمة المحمدية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [١٤٣البقرة] فيُرَّد إلى الوسطية !! وإلا سيظل فى الإلهانية على الدوام ..

[٥٣] مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ

وبالتالى لن ينتفع به الخلق ولا أحد من الأنام.

فجعل الله ﷻ رياض الصالحين هى المقار التى يتم فيها تجهيز المقربين والمرادين لمواجهات سيد الأولين والآخرين، فهى مراكز التدريب النورانية التى تُدرِّب القلوب التقية النقية وتؤهلها وتفتح لها الباب لمواجهة خير البرية، وذلك لمن أخلصوا لله ﷻ وطلبوا الله بصدق ويقين.

لكن الذين يترددون على الصالحين ولو لسنين، وهَمُّهُم طلب الدنيا والطعام والشراب فإنهم يضحكون على أنفسهم !!!

، لكن الشراب المخصوص لا يخرج إلا لمخصوص، وهذا المخصوص لا يوجد فى قلبه إلا الحبيب: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان].

والربُّ هنا أى المُربِّى، ووصف الشراب بأنه طهور لأنه يُطهر القلب من كل غين... ومن كل غير... ومن كل بعد ... ومن كل صدود ... ومن كل الشواغل ... ومن كل الأغيار...

حتى يُصبح هذا القلب مؤهلاً للأنوار:

من غيرنا فى عصرنا لا تُكشفن إلا لنا وبنا بسر الوالى

كيف نكون من العارفين والواصلين؟

قال الإمام أبوالعزائم ﷺ:

سر الوصول إلى الجناب العالى حب النبى محمد والآل

ولكن هذا الحب ليس فيه شريك ولا هوى ولا نفس ولا شهوة زائلة ولا دنيا فانية، لا يريدون إلا الحب الصادق رغبة فيما عند الله وطلباً

لرضوان الله وقرباً لحبيب الله ومصطفاه ﷺ:

ألا يا أخي بالحب ترقى وتُـرفعن وبالزهد تُعطى مـا لـه تتشـوق

ونختم بسؤال جاءنا من أحد المحبين الذين يترددون على روضـات الصالحين ليتعلم حقيقة وأسرار الصلاة على سـيدنا رسـول الله إذ قـال السائل:

أن السالك قد يعقد النيَّة أحياناً ويصلى على حضرة النبى ﷺ لكى يراه ويتمتع برؤية طلعته البهيه ومحيَّاه ..

ولكنه يرى شيخه فما تفسير ذلك؟

ونقول للمحبِّ السائل ولكل إخواننا وقرائنا الكرام:

إعلموا إن الشيخ المربى هو صورة من صور رسول الله ﷺ، ولذا فإن المصلى على رسول الله بنية أن يراه ﷺ! .. فإنه إن رأى شيخه فهو بـذلك قد رأى صورة من صور رسول الله، وذلك لأن صور رسول الله لا تحد ولا تعد، وكل رجل من الصالحين على قدره صورة لسيدنا رسول الله ﷺ إلا أنه لا يوحى إليه، وإنما يُلهم، لأن الإلهام مرتبة من مراتب الوحى.

وصلى الله على سيدنا محمد ملهم كل المحبين لذاته ...

وشفيع كل العاشقين لصفاته ....

وعلى آله وصحبه والتابعين ..

وعلينا معهم أجمعين إلى يوم الدين.

- بشائر المؤمنين
- أهل الفضل
- التعرض لفضل الله

۞ بشريات لأهل العنايات[٥٤]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى لا منتهى لكمالاته، ولا يستطيع أحد أن يتأمل بنفسه فى جمال ذاته، إلا إذا تفضلَّ عليه ﷻ بنوره وعطائه وهباته، والصلاة والسلام على الكنز العام الذى أولاه ربه كلَّ الإنعام وجعله رحمة لجميع الأنام سيدنا محمد وآله الذين محا الله بهم الظلام، وصحابته المباركين الذين نشروا هذا النور بين الأنام، وكل من استنار بنوره ومشى على ضوءه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين آمين يارب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

علِم الله عجز الخلق أجمعين، الأولين والآخرين عن إدراك بعض المعانى التى جمَّل بها سيد الأنبياء وإمام المرسلين، فتحدَّث الله ﷻ عنها بذاته مبيناً لنا ما نستطيع أن ندركه ونستوعبه من صفاته، وإن كان ﷻ فوق ذلك لأن الله ﷻ هو الذى أعطاه ذلك:

كل الوجود بأسره فى دهشة ... والكل عن درك الحقيقة حائر

عجز الورى عن فهم سر محمد ... لم يَدْرِه إلا الإله القادر

من الذى يستطيع أن يدرك سرَّ:

{ اللهُ المعطِي وأنا القاسمُ }[٥٥]

---

٥٤ المنيا ، بتاريخ ٢٠ من ربيع الثانى ١٤٣١هـ الموافق ٥ من أبريل ٢٠١٠م.

٥٥ صحيح البخارى عن معاوية ﷺ، ونص الحديث: { مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين، واللهُ المعطِي وأنا القاسمُ، ولا تزالُ هذهِ الأمَّة ظاهرينَ على مَن خالفَهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهرون }

فحديث القرآن عن رسول الله ﷺ بيان ربانى لحقيقة رسول الله، حتى نتعلق بذاته ونحاول بما فى وسعنا أن نتأسى بحضرته فى كل حركاتنا وسكناتنا لأن الله ﷻ جعله باب سعادتنا فى الدنيا، وباب نجاتنا وفوزنا فى يوم الدين.

والأمر كما سبق ونقلنا قول الإمام الشافعى ﷺ: { أمسينا وما بنا من نعمة ظاهرة أو باطنة فى دين أو دنيا إلا ورسول الله ﷺ سببها وهو الذى أوصلها إلينا } ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [١٨النحل] .

وقد بيَّن الله فى القرآن على قدرنا مُجملاً من بعض صفات نبينا أو كما قلنا سابقاً بعضاً من مهامه أو وظائفه لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ فهذه الصفة أو الوظيفة الأولى، ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ وهذه الثانية، والثالثة ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ ، وهذه الرابعة ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ ، والخامسة ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [٤٥-٤٧الأحزاب].

كل صفة من هذه الصفات تحتاج فى شرحها إلى مجلدات يكتبها ويبينها أهل المشاهدات .. وأهل المكاشفات .. وأهل العلوم الإلهامية التى يأخذونها من حضرة الله بالذات!! .. ومع ذلك يقولون ويبينون وفى النهاية يقول قائلهم رضى الله عنهم أجمعين :

على قدرى أصوغ لك المديحا ... ومدحك صاغه ربى صريحا
ومن أنا يا إمام الرسل حتى ... أوَفِى قدرك السامى شروحا
ولكنى أحبُّك ملءَ قلبى ... فأسعد بالوصال فتىً جريحا

وقد سبق وتناولنا فى الفصل السابق قبسا من معانى قوله ﴿ شَٰهِدًا ﴾، وهنا سوف أبين لقطة تهمنا كلنا فى قول ربنا لنبينا: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

بشائر المؤمنين

من الذى عليه بشارة المؤمنين؟

سيدنا رسول الله ﷺ، .. فهل يبشر المؤمنين فى عصره فقط أم جميع المؤمنين إلى يوم القيامة؟ يبشر المؤمنين إلى يوم الدين، إذاً فهذه الوظيفة موجودة على الدوام وغير موقوفة، وذلك لكى يعلم الجهال الذين يقولون إنه قد أدى الرسالة وانتهى الأمر!! بل إن الرسالة ما زالت قائمة ومن ضمن وظائفها: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ... يظلُّ ﷺ يبشر المؤمنين إلى أن تنتهى الدنيا، فليس بعده نبى ولا رسول، وكما قلنا سبقاً كذلك سيشهد ﷺ على الذين فى عصره، وكذلك سيشهد لنا وعلينا وعلى الذين من بعدنا إلى يوم الدين.

إذاً يبشر سيدنا رسول الله المؤمنين فى كل زمان ومكان، لماذا يا إخوانى؟ لكى تعلو هممنا وتربو عزيمتنا فى الإقبال على الله وفى العمل الموصل إلى رضاء الله جلَّ فى علاه.

ما الذى يجعل المؤمن يفرح فى الدنيا بالطاعات ويسعد ويستزيد من النوافل والقربات؟ .. إنها المبشرات الصالحات.

فلو أن الإنسان مارس الطاعات وواظب على النوافل والقربات ولم يأته شئ من المبشرات فإنه يتكاسل ويتباطأ ويتقاعس، بل إن العامل فى أية مصلحة عندما يعمل بجد وإتقان فلن يُشجعه على مداومة هذا العمل إلا إذا سمع كلمة استحسان من مديره! أو تأتي منه علاوة تشجيعية! أو يجعل له مزية أو خصوصية! لكن لو كان العامل سيعمل ولا يعطيه أحد عبارة استحسان فإنه يقول لماذا أعمل؟! يجب أن أكون مثل غيرى .... وهكذا

الحال فى كل أمر، فبشائر المؤمنين مستمرة إلى يوم الدين، قال ﷺ:

{ لاَ يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إلا المُبَشِّرَاتُ، قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: الرُّؤْيَا الصّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُل أَوْ تُرَى لَهُ }[٥٦]

والرؤيا الصالحة إما رؤيا لها تأويل وتعبير، وإما رؤية حقيقية فى العوالم الملكوتية، كمن يرى لقطة من الجنة، أو كمن يرى بعض ملائكة الله، أو يرى بسياحة روحه بعض زينة الله فى عرش الله، أو فى كرسى الله، أو فى ملكوت الله جل فى علا، لكن أعلى المرائى التى يتمتع بها أصحاب الرؤيا الصالحة أن يَرَوا سيدنا رسول الله ﷺ وذلك لأنه قال:

{ مَنْ رآني في المَنَامِ، فَقَدْ رأى الحَقَّ، إنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَشَبَّهُ بي }[٥٧]

وخذها من أى وجه "فقد رأى الحق" أى رآنى رؤيا حقيقية ليس فيها خيالات ولا أوهام، أو خذها كما قال سيد الأكوان: رآنى حقاً وليس خَلْقاً، لأنه له جانب خلقى وهو الذى كان به فى الأكوان، وجانب حقى وهو الذى عليه على مدى الزمان، وبذلك فقد رأى الحقيقة المحمدية: { فَقَدْ رأى الحَقَّ، إنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَشَبَّهُ بي } وهذه هى أول المبشرات الصالحات.

أهل الفضل

بماذا يبشر رسول الله المؤمنين يارب؟ قال ليس بالأجر والثواب – لأن الأجر والثواب لا يكون إلا بعد الإياب هناك فى الآخرة – ولكنه

٥٦ مسند الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها
٥٧ صحيح ابن حبان عن أبى هريرة

يبشرهم: ﴿ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ لهم الفضل، وهذا الفضل ليس بالعمل ولا بالسعى ولا بالجد والاجتهاد وإنما من كنوز المنن الإلهية ومن عين التفضلات الربانية، كما يقول بعض الصالحين:

{ قطرةٌ من بحر جودك تجعلُ الكافرَ وليّاً والشقىَّ تقيّاً }

وهذا هو فضل الله جل فى علاه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس]، ولذلك فإن أصحاب المناصب العالية من أصحاب رسول الله ﷺ، وأصحاب الدرجات الراقية من المهاجرين والأنصار، ومن بعدهم من الأولياء والصالحين إلى يوم القرار أخذوها بالفضل، وإياك أن تظن أنها بالجهاد!! وأزيدك بيانا ..

إن الذى يدخل بالجهاد فإنه من العُبَّاد، كالذى يُمسك بالمسبحة ويَعُد على الله تسبيحاته !!!...، أو الذى يقف طوال الليل ويَعُد على الله صلواته !! ... إن كان قليلاً أو كثيراً، أو الذى يقرأ القرآن ويَعُد على الله ختماته !!! ... ، فهل عدَّ عليك الله ﷻ النعم والآلاء التى غمرك بها فى كل الأنحاء؟!! بل إن مفيض الفضل والجود والنعم قد تفضل عليك بهذه النعم فضلاً منه ﷻ ولم يعايرك بسببها ... ولم يَعُدها عليك ... ولم يأمرك بتسجيلها، ... وكل ما يطلبه منك أن تشكره بالكيفية التى علَّمها لك فى كتابه .... وعلى منهج حبيبه ﷺ.

❁ التعرض لفضل الله

إذاً فالعطاءات الإلهية والمنن الربانية خصوصية !!!، والخصوصية بالفضل، فكيف يأتى الفضل يا إخوانى ومن أين؟ بأن يتعرض له الإنسان:

إذا تعـــــرض عبـــــدى لنيـــــل فضـــــلى تحلّـــــى
بحلـــــة الحســـــنى منّـــــى وبالشـــــــهود تملّـــــــى

كيف أتعرض لفضل الله إذاً؟ ... يستلزم التعرض:

أن تُجَهَّز لمولاك ولحبيب الله ومصطفاه، قلباً سليماً وحالاً مستقيماً، وحباً لحضرة الله ﷻ ولنبيه مقيماً لا يُبقى فى القلب حبَّةً لغير هؤلاء الأحبة.

وتجهيز القلب لأنه هو الذى يتعرض لفضل الله، وفضل الله لا يـــنزل إلا على القلوب، أما خيرات الله فهى التى تنزل على الأجسام، لكن الفـــتح الإلهى والعلم الربانى والنور القدسى والكشف لا تتنزل إلا على القلـــوب: (القلب بيت الرب فطهره له بالحب)، فإذا صليت مثلاً ألف ركعة فى الليلـــة هل ينظر الله إلى السجود والركوع والتلاوة والتسبيح فى هذه الصـــلاة أم لغير ذلك؟ نسأل الحبيب ﷺ الذى قال:

{إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ}[٥٨]

ينظر إلى ما فى القلب ...، هل فيه إخلاص؟.. هل فيه خشوع؟.. هل فيه حضور؟.. هل فيه صدق؟.. هل فيه تبتل؟.. هل فيه زهد فى الـــدنيا؟.. هل فيه ورع عن الحرام؟.. هل فيه الصفات النبيلة الكاملة التى كان عليهـــا النبى وأصحابه الكرام؟.. بل ما كان عليه أنبياء الله أجمعين علـــيهم أفضـــل الصلاة وأتم السلام؟ ...هذه هى التجهيزات التى يجب أن يكـــون عليهـــا القلب والتى تجعله صالحا للتعرض لفضل الله وإتحافات الله وإكراماته!!

---

[٥٨] صحيح مسلم عن أبى هريرة

فإذا أنت أتيت كل يوم ببدلة جديدة فإنها للخلق، أما إذا أردت أن ترضى الحق فإنه يريد منك بدلة واحدة فقط! بشرط أن تكون بيضاء وتُلبسها للقلب: "أحب الثياب إلى الله البياض" ... ولو أنك طهرَّت القلب إلى أن صار ناصع البياض كما خلقه الحق ﷻ فإن نيران المحبة تتأجج فيه، وذلك لأن القلب أساساً مملوءٌ بحب خالقه وباريه، ولا تنطفئ نار المحبة إلا بالمشاكل الكونية والحظوظ والأهواء الدنيوية عندما أُدخلها فى القلب، فتضغط على الحب لله ولحبيب الله ومصطفاه وتجعل حبَّ الدنيا هو الظاهر.

والمطلوب أن ترفع هذه الغواشى من القلب ليظهر حبُّ الله، لأن القلب أساساً مملوءاً بحب الله، فقد خلقنا الله ﷻ ووضع فى قلوبنا نور محبته لأنه جعلنا من أحبته، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ. فَإِنْ زَادَ زَادَتْ. فَذلِكَ الرَّانُ، ثم تلا قول الله ﷻ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ } [٥٩]

إذاً فقد جاء الحجاب من عند نفسك أنت !! أنت الحجاب !!، فإذا رفعت الغواشى صرت من الأحباب، وكُشف لك النقاب، وأُذن لك بدخول الرحاب، وتوجت بتاج أولى الألباب، وفُتحت لك كنوز حضرة الوهاب، وجعلك النبى ﷺ لحضرته باباً من الأبواب .... هل فهمنا هذا واستوعبناه يا أيها الأحباب .... تصبح باباً لحضرة النبى ﷺ.

---

٥٩ سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

إذاً لكى يحظى الإنسان بفضل الله، ويرى البشائر من رسول الله بذاته عليه أن يتعرض، ولكى يتعرض عليه أن يدخل على دائرة القلب وينظفها ويطهرها من الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء، ولا يجعل فيه إلا هوىً واحداً يقول فيه ﷺ:

{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به } [٦٠]

فيكون هواه تبعاً لهوى رسول الله، وليس له هوى آخر، وإذا صلحت القلوب وخلت من العيوب فوراً كوشفت بالغيوب، وواجهت حضرة علام الغيوب، وسكنها وحل فيها الحبيب المحبوب، وأعطاها كل المنى والمطلوب، لأن هذا العبد أصبح قلبه خالياً لحضرة علام الغيوب ﷻ:

فرِّغ القلب من سوانا ترانا ... يا مريداً جمالنا وبهانا
واعلُ فوق البراق ليلاً فإنا ... نتجلَّى ليلاً لمن يهوانا

إذاً من يريد الفضل عليه أن يتعرض للفضل، وهذه يا إخوانى مهمة الصالحين، لكنهم يريدون المريدين المستجيبين، ... المستجيبين!! .. لكن المريد أو المريض الغير مستجيب للطبيب ماذا يفعل معه الطبيب؟! ومعنى أنه غير مستجيب أنه يأخذ العلاج ولا يستخدمه! أو يأخذه أياماً ويتركه ولا ينفذ التعليمات! فإن قال له الطبيب لا تأكل السمين فإنه منه يستزيد، فماذا يفعل الطبيب؟!! إذاً من يريد الشفاء عليه أن يتبع تعليمات الطبيب.

وكذلك من يريد أن يحظى بالوصال عليه أن يكون مستجيباً لتعليمات الرجل القريب الذى أقامه الحبيب وجعله وسيلة للتقريب، فالذى

---

٦٠ فتح البارى عن أبى هريرة ﷺ

يتردد على العيادة كل يوم مرة ولم ينفذ التعليمات بالمرة! وآخر يذهب إلى العيادة مرة فى العمر ويأخذ الروشتة وينفذها، فأيهما الذى يتماثل للشفاء؟! بالطبع الذى يذهب ولو مرة واحدة ويستجيب بعدها.

ولذلك كنا نسمع ولا زال أن فلاناً ذهب إلى الرجل الصالح مرة واحدة فى العمر وجلس معه قليلاً ثم انصرف .. !! وصار بعدها من الصالحين!! وهذا لأنه استجاب وأناب فرَقَى على براق الأحباب..

وآخرون يجلسون دوماً على الأعتاب وكل همهم الطعام والشراب ومن ذهب ومن جاء ولا استجابة، فإلى ماذا يرتقون؟!! يرتقون إلى ما هم فيه، ولذلك فإن الشيخ الشعرانى ﷺ كان يقول: { قَلَّ أن يسلك فى طريق الله ﷻ خادم للشيخ أو ابن الشيخ } لماذا؟ قال: { الخادم يرى من الشيخ الأمور البشرية فتحجبه عن الخصوصية التى خصه بها رب البرية ﷻ }، وذلك لأنه يراه وهو يقول هات الطعام، وهات الشراب أو أنا مريض هات الطبيب، فيقول إنه مثلى، فيُحجب عن الخصوصية!!

وكذلك ابن الشيخ قال عنه: { إنه يُفسده تدليل المريدين! }، كذلك من هم حول الشيخ والذين يُعظِّمهم الشيخ، من الذى يُعظِّمه الشيخ؟ إنهم الضيوف، عندما يجئ الضيف يقدمه ويوجبه ويكرمه، لكن هل هناك من يكرِّم ابنه ويهتم به؟ لا، ولذلك متى يعرف المريد أنه سينال فضل الله؟ قالوا إذا أنزله الشيخ منزلة ابنه، أى يعامله كأنه ابنه، فلا يتكلف له ولا يحوجه إلى الإهتمام أو إلى الرعاية وذلك لأنه بمثابة الإبن.

إذاً لكى نجهِّز أنفسنا لفضل الله علينا أن نجهِّز القلوب، ولا يجهِّز القلوب للحبيب المحبوب إلا شيئان : الأول العلم الوهبى النازل من سماء

فضل علام الغيوب ﷻ، والثانى هو الحب: فهو الذى يغسل القلب ...، فمن الجائز أن هناك من يذكر باللسان!، وكان سيدى أحمد البدوى يقول فى مثل هؤلاء الذين يذكرون بالمسابح وباللسان على الدوام والعين للخلق تنظر والأذن لهم تسمع أو تتسمع- لذلك تجده عندما يذكر وآخر يتكلم بجواره يسمع كلامه ويرد عليه !! عجباً!!، لذلك قال: (ذكر اللسان شقشقة) أما الذكر الحقيقى يا إخوانى هو ذكر القلب.

فإذا ارتقى الإنسان من ذكر اللسان وسمع بنفسه أن قلبه يذكر ربه فياهناه لأنه وقف على أول قدم فى طريق الله، والقلب إن ذكر الله لا يغفل طرفة عين ولا أقل، حتى أنه عندما يقوم الإنسان من النوم يسمع قلبه وهو يذكر، أو أنه تكلم مع فلان أو فلانه يسمعه أيضاً وهو يذكر، والقلب إذا ذكر حضر، ولا يتم هذا الأمر إلا بتجهيز القلوب وتطهيرها بالكلية والتعرض إلى فضل حضرة علام الغيوب ﷻ، ومن يفعل ذلك يحظى بـ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب].

هل هذه البشرى هناك فى الآخرة؟ قال لا: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أولاً ثم ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [٦٤يونس] ... وتتوالى عليهم البشائر من رسول الله ﷺ، منهم من يبشره سيدنا رسول الله مرة واحدة فى العمر، ومثل هذا ياهناه لأنه قال:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي }[٦١]

- وهو يخرج من الدنيا وبذلك يبشر بحسن الخاتمة.

---

٦١ جامع الأحاديث والمراسيل عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ

- ومنهم من يأتيه النبى كل أسبوع مرة ككثير من الصالحين!!.
- ومنهم من يأتيه النبى عليه أفضل الصلاة وأتمُّ السلام فى كل أسبوع مرتين كسيدى عبد الرحيم القنائى ﷺ!!.
- ومنهم من يرى النبى ﷺ كل ليلة مرَّةً كالإمام مالك ﷺ.
- ومنهم من لا يغيب عنه النبى ﷺ ليلاً ولا نهاراً بالمرة !كسيدى أبوالحسن الشاذلى ﷺ، يراه عياناً بياناً آناء الليل وأطراف النهار.

وهؤلاء ﷺ أجمعين لا يستطيعون أن يبيِّنوا ما تفضل الله به عليهم إلا لأهل خصوصيتهم ... ، ولكن عليهم بعد ذلك أن يجهِّزوا غيرهم لحبيبهم ﷺ ... وهذا كما قلنا هو السبب أو الغرض الذى من أجله يذهب الناس للصالحين أو للعارفين أو المشايخ والمربِّين..

فنسأل الله ﷻ أن يجعل لنا نصيباً عظيماً من هذا الفضل الكبير، وأن يؤهل قلوبنا ويجهز أسرارنا للفتح الأعظم من حضرة نبينا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

إذاً كل ما بيننا وبين طبيب القلوب:

- هو أن نجهِّز قلوبنا من أجل الفتح الوهبى الربَّانى الإلهى.
- فنذهب له ونأخذ الروشتة .
- وبعدها نجاهد لكى نطهِّر القلب.
- وإذا عقدنا العزم وسلكنا بصدق فمن لحة تقع الصُّلْحَة.

أما إذا فقدنا العزم فإننا لو جلسنا معهم ألف عام !! ..فإننا نظلُّ كما

كنا نعيش فى الأكوان !! وليس لنا نصيب فى هبات سيد ولد عدنان، وكل ما يلزمك هو القلب السليم كى تتنزل فيه أنوار العلى العزيز الحكيم ﷻ.

وهنا أبشركم ببركات وأفضال وأنوار إحياء ليالى النبى المختار فليلتنا هذه الليلة والليالى التى مثلها كم تساوى من فضل الله؟ يقول فى شأنها الله:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [٤٧الحج]

فاليوم الذى يقضيه الإنسان عند مربِّى الروح ومربِّى القلب ... كألف سنة فى العبادات والطاعات والمجاهدات.

نسأل الله ﷻ :

ألا يحرمنا من هذا الأنس، وأن يجعل أنسنا فى ذاته!

وأن يجعلنا أهلاً لهباته وعطاءاته، وأن يؤهلنا لمنازل أهل خصوصياته!

وأن ينظر إلينا بعينه النورانية القدسية نظرة تذهب عن قلوبنا كل دنية وبلية وتجعل فيها أهلية للعطاءات الربانية!

وأن يحبونا بحب حبيبه ومصطفاه، وأن يكشف عنا كل حجاب بيننا وبينه حتى نتمتع به ونراه، ونحظى بجمال محياه، ونفوز بالنعيم الأعظم الذى خصه به مولاه، ويصير مدده سارياً فى كل أعضائنا فى كل أنفاسنا فى هذه الحياة، ونكتب من رفقاءه فى الدار الآخرة عند الله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الخامس
وصف رسول الله ﷺ
صور الحبيب ﷺ
وبالحق أنزلناه وبالحق نزل
البحث عمن رأى الحبيب ﷺ
وصف رسول الله ﷺ البشرى
أوصافه المعنوية ﷺ
الأسوة الحسنة

وصف رسول الله ﷺ[٦٢]

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله الذى أنار الوجود بطلعة سيد الوجود، سيدنا محمد الذى جعله الله ﷻ لنا وعندنا أغلى من كل والد ومولود، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يارب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

طلب منَّا الله ﷻ أن نتعرف على نبينا ﷺ:

- على صورته الحسِّيَّة الظاهرية التى تراها العين البالية الجسدية.
- وعلى صورته المعنوية التى تراها القلوب التقية النقية.
- وعلى صورته النورانية التى تراها الأرواح إذا ارتقت وتراها ملائكة السبع الطباق وغيرها من العوالم العلوية.
- وعلى صورته الربانية التى أطْلع الله ﷻ عليها النبيين والمرسلين قبل البدء القديم وعاهدهم له ﷺ أن يكونوا له أنصاراً وتابعين، ثم جدَّد لهم هذا العهد وأحياهم وجمعهم فى بيت المقدس ليروا الحبيب بعد تكليفه بالرسالة وبعد أمره بالبلاغ وليصلى بهم إماماً لأن الله ﷻ جعله كذلك–أى إماماً – لجميع الأنبياء والمرسلين.

وسوف نذكر فى هذا المقام بعض ما تطيقه العقول من الصور التى جعلها الله لحضرة الرسول ﷺ ، فنقول وبالله التوفيق:

---

٦٢ كانت هذه المحاضرة بالإسكندرية بتاريخ ٢٥ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ١١ من مارس ٢٠١٠م.

صور الحبيب

أولاً: صورة حسية ظاهرية:

وقد رآها من كان فى عصره وأوانه، ويكرم الله ﷻ بمشاهدتها المؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، وفيها يقول ﷺ:

{ مَنْ رآني في المَنَامِ، فَقَدْ رأى الحَقَّ، إنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَشَبَّهُ بي }[٦٣]

فرؤيته ﷺ محفوظة من أن يتشبه بها شيطان، أو يتمثل بها أحد من الجان لأنها محفوظة بحفظ الرحمن ﷻ.

وثانياً: صورة معنوية:

وتلك صورة تراها القلوب إذا صفت، وتراها النفوس إذا وفت، بيَّنها الله ﷻ فى الآيات القرآنية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب]

وغيرها من الآيات القرآنية التى تبين أوصافه القرآنية والتى تقول فيها السيدة عائشة رضى الله عنها: { كان خُلقه القرآن }[٦٤].

وثالثاً: صورة نورانية :

وهى صورة يراها الملأ الأعلى، وتراها الأرواح إذا ارتقت فى سماء

٦٣ صحيح ابن حبان عن أبى هريرة
٦٤ مسند الإمام أحمد

القرب من حضرة الكريم الفتاح، قال فيها الله جل فى علاه:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة]

النور هو رسول الله ﷺ، والكتاب المبين هو القرآن الكريم، وليس النور هو الكتاب لأن الله فصل بينهما بالواو وهى حرف عطف يقتضى المغايرة أى يقتضى ما قبلها أن يكون مغايراً ومخالفاً لما بعدها، فلو كان النور هو الكتاب لكانت الآية: "نور كتاب مبين" لكن النور شئ والكتاب المبين شئ آخر، فالنور هو رسول الله ﷺ، والكتاب المبين هو القرآن الكريم الذى أنزله الله عليه، والقرآن نور: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا ﴾ [٥٢الشورى] والله ﷻ نور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٣٥النور] فالله نورٌ والقرآن نورٌ والحبيب المصطفى نورٌ ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [٣٥النور].

ورابعاً: هناك الصورة الربانية:

وهى الصورة التى خلقها الله ﷻ قبل خلق جميع البرية ..، وخلق منها أرواح النبيين والمرسلين ..، وأخذ عليهم فيها العهد والميثاق الذى يقول فيه فى قرآنه المبين:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [٨١آل عمران].

إذاً هناك أربع صور لرسول الله ذكرناها على قدر العقول.

وبعد أن بسطنا قبساً صغيراً من التلميح لتلك الصور العلية .. جاءنا سؤال من أحد الحاضرين المحبين الصادقين فى كبد الموضوع نستزيد بإجابته الأمر توضيحا وبياناً، إذ يقول السائل :

۞ وبالحق أنزلناه [٦٥]

قد بينتم فضيلتكم البيان الشافى الغير مسبوق عن صور الحبيب ﷺ، فهل ياسيدى المقصود بقول الله ﷻ ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ رسول الله ﷺ؟

وإن كان كذلك!.. فأين يقع هذا المعنى من الصور التى بينتها لنا؟ بارك الله فيكم وجزاكم عنا خير الجزاء وزادكم نوراً وعلماً.....

وأجيب الأخ السائل بارك الله فيه، إن العلوم كنوز ومفاتيحها الأسئلة.. فالسؤال فى صلب الموضوع وجوابنا: .. الإثنان، فالكتاب هو رسول الله: ... ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [١٠٥الإسراء]

وأين نزل: .. ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [١٩٣الشعراء]

على: ... ﴿ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [١٠٥الإسراء]

ولذلك قال:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [٣-٤النجم]

فلا ينطق عن هوى فى نفسه ولا عن رأى فى شخصه، وإنما ينطق مبلغاً عن الله لأنه ﷺ فنى عن نفسه، ولم يعد له حظ ولا هوى ولا مطمع

٦٥ كان هذا السؤال فى نهاية المحاضرة وآثرنا أن نضعه فى سياقه لإتمام الفائدة للقراء.

دنيوى أو فانى، وإنما كان كل همه أن يبلغ رسالات الله ﷻ إلى خلق الله:

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ ﷺ، وذلك لأنه صورة الحق التى ظهرت بين الخلق، صورة حقية فى صورة آدمية، باطنه حق وظاهره خلق، وظاهره مرآة تبين جمال باطنه، إذاً فقد أصبح ظاهره حق وباطنه حق، وإلا لما أوجب الله علينا اتباعه حتى فى مشيه وفى طعامه وشرابه وفى كل أموره، وقد قال سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّى أَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ أَفَأَكْتُبُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فِى الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنِّى لاَ أَقُولُ فِيهِمَا إِلاَّ حَقًّا }[٦٦].

فهو صورة الحق التى أجلاها للخلق ليتجملوا بهذا الجمال، فيحوزوا رضاء الحق ﷻ، وكأن الله ﷻ جعله مثالاً للكمالات التى يحبها من خلقه، فمن أراد أن يكون حبيباً لله فليتخلق ويتجمل بجمال حبيب الله ومصطفاه فيصير مثله حبيباً لله على قدره لا على قدر الحبيب الأول ﷺ.

ولذلك دائماً ما نقول لإخواننا ونقول لكم ولكل المحبين: ... عليكم أولاً استحضار صورته الحسية لكى يتهنى بها القلب ...

لكن حاول أن تتجمل ليس بصورته الحسية ولكن بأوصافه المعنوية، وعندما تتجمل بأوصافه المعنوية يمن عليك الله ﷻ فيُجمل باطنك بأوصافه النورانية، ... ولما يجمل باطنك بأوصافه ﷺ النورانية ... يفتح لك فتوحات العارفين ... ويجعلك من أهل مقامات القرب من رب العالمين ﷻ ، وهذا هو سر أهل الخصوصية مع الصور المحبوبية ....

---

٦٦ مسند الإمام أحمد

البحث عمن رأى الحبيب

كان الإمام الحسن والإمام الحسين، لما كانا صغيرين فى السن عندما كان الحبيب ﷺ كائناً بينهم، وأنتم تعلمون أنهما كانا يلعبان بين يديه، بل يتخذونه أحياناً مركباً يركبانه ويعتليان ظهره عند السجود!....

رُوى أنه ﷺ خرج في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر، وهو يحمل الحسن أو الحسين، فتقدم النبيّ ﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، فقال الراوى: إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت في سجودي فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك هذه سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث أمر أو نزل الوحى، قال:

{ فَكُلُّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتّى يَقْضِي حَاجَتَهُ }[٦٧]

ودخل الحسن ﷺ يوماً من باب مسجده الأنور، وكان ﷺ على المنبر يخطب فى جموع المسلمين، فلما رآه الحسن قال: أبى أبى ومشى مسرعاً فتعثر فى ثوبه فوقع، فما كان من الرحمة المهداة والنعمة المسداة إلا أن نزل من على منبره وأقام الحسن واحتضنه ورفعه وصعد به المنبر وأكمل خطابه للأُمه! فصدق من وصفه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [١٠٧الأنبياء].

هذه كانت أحوال رسول الله ﷺ، وكانت ابنة ابنته زينب تأتى إليه أحياناً فى الصلاة، فيحملها واقفاً وراكعاً، ويضعها بجواره عند السجود، فإذا

---

٦٧ مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن شداد عن أبيه

أراد القيام ثانية حملها عند نهوضه وهكذا يصلى وهو يحملها!!! ياللرحمة!

ومع ذلك فإن الحسن والحسين لما كبرا أرادا أن يتعرفا على صورة رسول الله ﷺ الظاهرية الحسية التى لم يتحققا بها لصغرهما فى حياة خير البرية ﷺ، فكانا يطوفا من وراء بعضهما على الوصَّافين الذين يستطيعون وصف رسول الله وياله من عمل شاق .. ربما تظنون غير ذلك!!

ولكن الحقيقة أنه ما كان أحد من صحابته ﷺ يستطيع أن يصفه، فأكابر الصحاب كانوا لا يستطيعون نعته!! يقول عمرو بن العاص ﷺ – وكان من أكابر العقلاء فى الصحابة، بل من كبار الدهاة فى القادة – عند وفاته لابنه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: { يابنى! لما بايعت رسول الله كنت أشد الناس منه حياءاً ما ملأت عيني من رسول الله حياء منه !!}[٦٨]

وإذا كان حسان بن ثابت ﷺ – وقد عاش مائة وعشرين سنة، ستون سنة قبل الإسلام وستون بعد الإسلام – وكان حسان قد سمع وصْف النبى ﷺ من اليهود مثل بقية الأنصار حيث عرفوا أن هناك نبى سيبعث فى مكة ويهاجر إلى المدينة، وأوصافه يعرفها اليهود لقول الله فيهم: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [١٤٦البقرة] لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة سمع حسان بن ثابت – ولم يكن قد أسلم بعد – اثنين من اليهود يتحدثان بعدما شاهدا النبى ﷺ ولا يرون حساناً، فقال أحدهما للآخر: أهو هو؟ قال: هو هو بنعته الذى ذكره لنا موسى فى التوراة، قال: وماذا تفعل؟ قال: لن أؤمن به ما حييت – فإنهم يعرفونه لكن الحسد يمنعهم من الإيمان به!! – فأراد سيدنا حسان أن يتحقق، فذهب إلى النبى ﷺ وشاهد جمال محياه وقال فى ذلك:

---

٦٨ الزهد والرقائق لابن المبارك، تاريخ دمشق وغيرها

لما نظرت إلى أنـــواره ســـطعت وضعت من خيفتى كفى على بصرى
خوفاً على بصرى من نور طلعته فلست أُبصره إلا علـــى قـــدرى

لما رأيت رسول الله وضعت يدى على عينى خوفاً من ساطعة الأنوار أن تحرق عينى، لأن رسول الله ﷺ كان يراه أصحابه نوراً!! أما الكـــافرون والجاحدون فيكفى فـــيهم قـــول الله ﷻ: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [الأعراف] لا يرون النور!! .. مثل إبليس عندما أُمـــر مـــع الملائكة بالسجود لآدم، الملائكة رأت النور الموجود فى وجه آدم – وهـــو نور رسول الله ﷺ – وإبليس عميَ فلم يرَ إلا جسم آدم وطينته!! فـــامتنع عن السجود، ولذلك قال سيدى على وفا فى ذلك:

لو أبصر الشيطان طلعـــة نـــوره فى وجه آدم كان أول من ســـجد
أو رأى النمـــروز بعـــض جمالـــه عبَدَ الجليل مع الخليل وما عنـــد
لكن نور الله جـــلّ فـــلا يُـــرى إلا بتخصيص مـــن الله الصـــمد

فكان ﷺ لا يستطيع أى إنسان من صحبه أن ينعته لشدة نورانيتـــه وشفافيته ﷺ، فمن الذى نعته ووصفه؟

لا يوجد إلا الإمام على بن أبى طالب ﷺ وكـــرَّم الله وجهـــه، وأم معبد التى مرَّ النبى عليها فى الهجرة ووصفته لزوجها، وهند بن أبى هالة وهو ابن السيدة خديجة ولكن من زوج آخر، ولذلك هو خال ســـيدنا الحســـن وسيدنا الحسين، هؤلاء هم الثلاثة الذين استطاعوا أن يصفوا رسول الله، ولم يستطع أحد من صحابته الذين يزيدون على المائة ألف وصفه!!

ويذكر التاريخ أن رسول الله ﷺ وصَّى أصحابه وقال فى جمع فـــيهم عُمر وعلىّ رضى الله عنهم أجمعين:

{ سيأتى من بعدى رجل من أهل اليمن يُدعى أويس القرنى آمن بى ولم يرنى، منعه من المجئ إلى بره بأمه، فإذا لقيتموه فأبلغوه منى السلام وسلوه أن يدعو الله ﷻ لكم } [٦٩]

وهذا هو السند الذى يعتمد عليه القوم فى الذهاب إلى الصالحين .. هل يحتاج سيدنا علىّ وسيدنا عمر فى الذهاب إلى الصالحين؟!

إنه أمر من سيد الأولين والآخرين أن يبحثوا عنه ويذهبوا إليه ويسألوه أن يدعو الله ﷻ لهم!! أمر !!!!

فكان سيدنا عمر ﷺ يحج كل عام وينادى فى أهل اليمن: أفيكم أويس؟ يقولون: لا، وفى مرة قالوا: ليس فينا إلا راعى غنم يسمى أويس، قال: أين هو؟ قالوا: عند جِمالنا، فتظاهر أنه لا يُبدى للأمر أى اهتمام وأشار إلى سيدنا علىّ أن يفعل كذلك ثم انسلا من القوم وذهبا إلى أويس وهو بمفرده، وقالا له: أأنت أويس؟ قال: نعم، – وكان النبى ﷺ قد أعطاهم علامة له حيث قال لهم: أنه كان به برصٌ فشفى منه ولم يبق إلا موضع قدر الدرهم تحت إبطه – فقال له عمر: اكشف ذراعك وأرنا إبطك، فرأى ما ذكره رسول الله ﷺ فتحقَّقا أنه هو، ودار بينهما الحديث..

وسأل أويس: هل رأيتما رسول الله ﷺ؟ قالا: بلى، فأخذ سيدنا علىّ يصفه بالصورة الحسية الظاهرية، قال: إنكم لم ترونه على الحقيقة! عجباً!!

فذهبا إلى السيدة عائشة وذكرا لها ذلك فقالت: لقد رأيته الرؤية الحقيقية مرَّة واحدة، كنت أُخيط له ثوباً على مصباح فهبت الريح وأُطفئ

٦٩ الإصابة فى تمييز الصحابة وفى الكثير من كتب المصادر ومراجع الحديث والسنة ووردت بصور عدة.

المصباح ووقع منى المِخْيط فدخل علىَّ ﷺ فرأيت نوراً من الأرض إلى السماء، ورأيت على هذا النور المِخْيط وأدخلت فيه الخيط! رأته مرة واحدة لأنه نور الله الذى ذكره الله: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة].

فذهب سيدنا الحسن إلى خاله هند بن أبى هالة وقال له: اذكر لى من أوصاف رسول الله ﷺ ما أتعلق به، فذكرها له، وذهب الحسين من وراءه إلى خاله أيضاً وقال: اذكر لى من أوصاف رسول الله ﷺ ما أتعلق به، ونحن جميعاً نحتاج إلى بعض هذه الأوصاف حتى تتعلق فى مخيلتنا وتسطع فى أفئدتنا لعل الله يكرمنا عند منامنا فنرى حبيبنا ﷺ، وقد قال ﷺ فى الحديثه الآخر:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي } ٧٠

متى سيراه فى اليقظة؟ ... وهو مسافر من الدنيا يأتى إليه حضرة النبى ... ويستقبله .... ومعه الصحابة الكرام ... ومعه الأئمة العظام، لأن الله ﷻ أعطاه ذلك وكلفه بذلك.

وفى السنة أكثر من دليل، ففى عصر عثمان بن عفان توفى رجل اسمه الربيع بن خراش ويحكى أخوه الربعى القصة فيقول كما ورد:

{ مات أخى الربيع وكان أصومنا فى اليوم الحار وأقومنا فى الليلة الباردة فسجَّيته فضحك، فقلت: يا أخى أحياةٌ بعد

---

٧٠ جامع الأحاديث والمراسيل عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

الموت قال لا ولكنى لقيت ربى فلقينى بروح وريحان ووجه غير غضبان، فقلت كيف رأيت الأمر؟ قال أيسر مما تظنُّون } - وفى رواية: { ولا تغتروا فإني استأذنت ربي لأبشركم فاحملوني إلى رسول الله ﷺ فإنه وعدني أن لا يسبقني حتى أدركه} ، فذكر لعائشة ﷺ فقالت: { صدق ربعى، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أمتى من يتكلم بعد الموت }، وفى لفظ: { يتكلم رجلٌ من أمتى بعد الموت من خير التابعين }[٧١]

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ هل يصلى على الذين فى عصره فقط؟ لا، بل على كل الأمة إلى يوم الدين، لماذا؟ .. قال الله له: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [١٠٣التوبة].

هى التى ستسكِّنهم من الخوف ومن الرعب، وهى التى ستسكِّنهم عند سؤال الملكين، وهى التى ستسكِّنهم عند أهوال يوم القيامة .... فالصلاة دائمة إلى يوم الدين من رسول الله ﷺ على المحبين والمخلصين والصادقين فى الحبِّ لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

قد يقول البعض أن ذلك حدث فى عهد سيدنا عثمان، وأن هذا الرجل كان صحابياً، وحتى يتحقق حديث سيدنا رسول الله ﷺ: { يَكُونُ فِي أُمّتي رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بَعْدَ المَوْتِ } !! اسمعوا هذه القصة:

الشيخ ذو النون المصرى ﷺ وكان يعيش فى القرن الرابع الهجرى،

---

٧١ جامع المسانيد والمراسيل ، الطبرانى فى الأوسط بسند جيد عن حذيفة وأخرج البيهقى وصححه وأبو نعيم فى الحلية عن ربعى بن خراش، ورواية { إحملونى إلى رسول الله } فى الطبقات الكبرى لإبن سعد.

وكان من أخميم وسكن الجيزة وكان من أكابر الصالحين، لَّما جاء أجله، مَن الذى أعلم الناس بالخبر؟ !! .. مَن الذى كان يُنبئ الناس بالأخبار فى هـذه الأوقات مع أنه كانت لا توجد صحافة ولا إذاعة ولا تليفونات ولا غـير ذلك؟! الذى كان ينبؤهم الرؤيا الصالحة يراها الرجل المؤمن أو تُرى له.

فكان الصالحون فى كل مكان نشرهم الرحمن، ويـرون فى قلـوبهم الأخبار التى يريد أن يذيعها الرحمن على الناس فى كل زمان ومكان، فلمـا جاء الموت لذى النون رأى سبعون رجلاً من الصالحين فى كل مصر رؤيـا واحدة، حيث رأى كل رجل منهم رسول الله ﷺ قادماً !! .. فسأله:

لماذا قدمت يا رسول الله؟ فيقول: إن حبيب الله ذا النون يريد المجئ إلينا وقد جئت لاستقباله!!. ... فأخذ كل رجل منهم تلاميـذه ومريديـه وذهب إلى الجيزة ليحضر جنازة ذا النون والتى سيحضرها رسـول الله ﷺ، ولذلك رُوى أن المشيعين لهذه الجنازة كان يزيد عددهم على المليون، وكان يوماً شديد الحرارة، وسوف يمشون من الجيزة إلى الإمام الشافعى ليـدفنوه، فأرسل الله على رءوس المشيعين طيوراً سدت الأفق ترفـرف بأجنحتـها، أظلتهم بأجسامها !! وهونت عليهم حرارة المكان برفرفتها بأجنحتـها ... حتى وضعوه فى لحده الأخير ...، لأنه حظىَّ بالبشير النذير ﷺ.

وصف رسول الله ﷺ البشرى

فلابد للإنسان أن يتعلق ببعض أوصاف رسول الله ﷺ، وينـام وفى مخيلته أو فى فؤاده هذه الأوصاف، فعندما ينام يُكرم فى المنام برؤية المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

هذا هو الوصف الظاهرى لرسول الله، وسنتكلم فيه على قدرنا حيث كان ﷺ كما ذكرت الروايات رَبعةً بين الرجال أى بين الطويل والقصير، ومع ذلك كان سيدنا عمر ﷺ يقول وكان ﷺ كان ضخم الجسم، حتى أن الذى يراه كان يخاف منه، ومع ذلك كان ﷺ يقول:

{ ما مشى معنا ﷺ إلا وكان أطولنا مهما كان طولنا، ولا قعد بيننا إلا وكانت أكتافه أعلانا مهما كان طول أكتافنا } ٧٢ ..

لأن الله ﷻ رفع قدره وأعلى شأنه، فرفعه الله ﷻ حتى من يراه فى أى جانب يراه أطول الجميع !! مع أنه ﷺ كان بين الطول والقصر.

وكان ﷺ وجهه أقرب إلى التدوير حتى كان سيدنا أنس يقول:

{ نظرت إلى رسول الله فى ليلة أربعة عشر والقمر بدر، فكنت أنظر إليه تارة وإلى القمر تارة، فوالله الذى لا إله إلا هو لكان فى عينى أجمل من القمر }.

وسيدنا أبو هريرة ﷺ يقول فى ذلك:

{ ما رُؤى ﷺ مع شمس ولا قمر ولا مصباح إلا وكان نوره أزهى من نور الشمس وأوضح من نور القمر وألمع من نور المصباح }

وكان ﷺ يميل إلى اللون الزهرى وهو البياض المختلط بالحمرة، وهو أزكى الألوان فى الجنة إن شاء الله، وكان فمه ﷺ واسعاً لأنه ﷺ أوتى

٧٢ وورد مثل ذلك فى وصف سيدنا على للرسول ﷺ: { لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط (المتناهى فى الطول) ولا بالقصير المتردد(القصير جداً) ، وكان ربعة القوم، لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله، فإذا فارقه ﷺ نسب للربعة (أي لا طويل ولا قصير)}.السيرة الحلبية وغيرها.

الفصاحة كلها، وسعة الفم من علامات الفصاحة، وكان مفلج الأسنان أى أن أسنانه الأمامية بينها فاصل دقيق.

وكان ﷺ أدعج العينين أى أسود الحدقتين، وفوقها كانت رموشه مقوسة ولا تلتقى، وكان ﷺ شعره بين المسترسل (الناعم) وغيره، وكان يَفْرق شعره من جهة اليسار، وكان شعر رأسه وشعر لحيته ليس فيه إلا سبع عشرة شعرة بيضاء، ولما سُئل عن ذلك قال:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُها }[٧٣]

وأخواتها سور إذا الشمس كورت، و إذا السماء انفطرت.

إلا أن هذا الوصف الحسى كان فيه أيضاً نورٌ ربانى، فلقد كانت عيناه ﷺ ليست كعين أحد منَّا! لأنه كان يصلى بأصحابه، فإذا انتهى من الصلاة التفت وقال أنت يا فلان فعلت كذا وأنت يا فلان كان ينبغى أن تفعل كذا، فيقولون: يا رسول الله كيف رأيتنا وأنت تصلى؟ فيقول ﷺ: { إِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيّ }[٧٤]، كان ﷺ حتى فى البشرية له ميزات ربانية ..!!!

وكان ﷺ لا يقف عليه الذباب قط، وكان ﷺ عرقه أشد بهاءاً وعطراً من رائحة المسك، وكان ﷺ فى كل أحواله أحوالٌ بشرية جملتها الذات الربانية، فكان ﷺ كما قال فيه مولاه:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [١١٠الكهف].

---

٧٣ البيان والتعريف عن أبي بكر ﷺ

٧٤ الترغيب والترهيب، صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ

أوصافه المعنوية

أما صورته المعنوية فهى أوصافه الربانية التى اتصف بها نحو الرحمة، الشفقة، العطف، السماح، المودة، اللين ..... هذه الصورة لما تَخلَّق بها أصحابه أشرقت أنوارها على قلوب الخلق فدخل الناس فى دين الله أفواجا!! ما الذى نشر الإسلام فى أرجاء الدنيا ياإخوانى؟

- أخلاق النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.
- وأخلاق القرآن التى كان عليها أهل القرآن الذين تشبهوا بالنبى العدنان ﷺ فأصبحت أخلاق نبيهم وقرآنهم مطبوعة على وجوههم ومقروءة من أفعالهم من قبل أن تنطقها ألسنتهم.

يقول سيدنا أبو بكر ﷺ :{ يَا رَسُولَ الله، لَقَدْ طِفْتُ فِي العَرَبِ وسَمِعْتُ فُصَحَاءَهُمْ، فَمَا سَمِعْتُ أَفْصَحَ مِنْكَ فَمَنْ أَدَّبَكَ؟ قال: أَدَّبَنِي رَبِّي، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ }[٧٥] وتعجب من ذلك علىٌ وعمر ﷺ، فسأله علىٌ يوماً بعد لقائه بوفد بنى نهد: { يا نبيَّ الله نحنُ بنو أب واحد ونشأنا في بَلد واحِد وإنَّك لتكلِّم العربَ بلسان ما نفهَم أكثره! فقال إنَّ الله ادَّبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعيد بن بكر }[٧٦] { فقال له عمر يا رسول الله كلها من العرب فما بالك افصحنا فقال اتاني جبريل بلغة اسماعيل وغيرها من اللغات

٧٥ أخرجه ابن عساكر من طريق محمَّد بن عبد الرَّحمن الزّهري عن أبيه عن جدِّه، الدرر المنتثرة، وأخرج ثابت السرقسطي في الدلائل بسند واه أن رجلا من بني سليم قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أيُدالِك الرجلُ امرأته قال نعم إذا كان ملفحا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما قال لك وما قلت له قال: قال لي أيماطل الرجل امرأته قلت نعم، إذا كان مفلسا. قال فقال أبو بكر ﷺما رأيت أفصح منك فمن أدبك يا رسول الله قال أدبني ربي ونشأت في بني سعد.

٧٦ المقاصد الحسنة للسخاوي، قال العلماء: وقوله نشأت في بنى سعيد، هم يعرفون ذلك! ولكن ليؤكد للأمة من بعدهم أنه ﷺ لم يطلب العلم أو الأدب من أى مصدر ولم يجالس المعلّمين ولم يأخذ عن المربين وإنما ذاك من تعليم ربِّ العالمين.

فعلمني اياها }[٧٧]، واخيراً الرواية المعروفة والمشهورة، أجاب ﷺ :

{ أَدَّبَنِي رَبي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبي ثمَّ أَمَرَنى بمَكَارِمِ الأَخْلاق}[٧٨]

أدَّبه ربُّه ﷻ على الأخلاق الكاملة.

ففى مضمار العبادة ... لا يستطيع أحد من كان على مدار الزمان والمكان أن يقوم بما كان يقوم به ﷺ من العبادات، فكان يقوم الليل حتى تتورم أقدامه، وكان يصوم صيام الوصال ويقول:

{ إني أظل عند ربي فيطعمني ويسقيني }[٧٩]

وهنا لطيفة عارضة: تلك الرواية التى يصححها الأئمة وهى أنه كان يضع الحجر على بطنه!!، كيف يضع الحجر على بطنه وهو يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه؟!! لكنه حدث تحريف للرواية – قبل أن يستعمل تشكيل الحروف– حيث كان ﷺ يضع "الحُجُزَ" على بطنه، أى الحزام المعروف، فحرَّفوها وقالوا أنه كان يضع الحجر على بطنه، فهل كان ﷺ يجوع حتى يضع الحجر على بطنه؟!! بل كان ﷺ يبيت جائعاً ويصبح طاعماً!!

وكان ﷺ لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين، تنام عينه وقلبه لا ينام! ومع ذلك وهذا هو الشاهد من حديثا هنا ... مع أنه لايجار ولايبارى فى عبادته لمولاه ولكن عندما مدحه خالقه وباريه الذى يعلم بعبادته هذه؛ عندما مدحه .. بماذا مدحه؟ .... مدحه بالصورة المعنوية فقال:

---

٧٧ كتاب مرآة الزمان واخرجه العلامة شمس الدين يوسف بطرق كلها تدور على السدي عن ابي عمارة الحيواني عن علي بن ابي طالب ، اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة

٧٨ ابن السَّمْعَاني في أَدَبِ الإمْلاَء عن ابن مسعُود ﷺ، جامع الأحاديث والمراسيل

٧٩ مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة ﷺ

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم]

لم يقل الله له أنت ذو خُلق عظيم أى صاحب خُلق عظيم، وإنما قال "على" أى أعلى من الخُلق العظيم، انظر إلى شكل الخُلق العظيم عند الناس فى كل زمان زمكان فأنت أعلى من هذا الخُلق، وفى القراءة القرآنية الثانية:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِ -بكسر القاف- عَظِيمٍ ﴾

والعظيم هو الله، فأنت على خُلقِ الله العظيم جلَّ فى علاه.

فكان ﷺ على خُلق الله! وهذا هو الوصف الذى وصفه به مولاه، ولذلك ما البُشْريات التى بشَّر الله بها السابقين فى التوراة والإنجيل؟

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل ..:

{ والله إنه لموصوف في التوراة؟ بصفته في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ـ ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق ـ ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملَّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً } [٨٠]

إذاً كان وصف رسول الله ﷺ كما قال فى سر بعثته:

---

٨٠ مسند الإمام أحمد

{ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق } [٨١]

فكان صاحب مكارم الأخلاق العالية، ولذلك أراد أحد أحبار اليهود واسمه زيد بن سعنة أن يمتحن النبي ﷺ، فذهب إليه كما تحكي الرواية، فعن عبدُ الله بنُ سَلام قال:

{ إِنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إلا وَقَدْ عَرَفْتُهَا في وَجْهِ مُحمَّدٍ حِين نَظَرْتُ إِلَيْهِ؛ إلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيْدُه شِدَّةُ الجَهْلِ عَلَيْهِ إلا حِلْماً، فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لأنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الحُجُرَاتِ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كالبَدَوِيِّ، فقال: يا رَسُولَ الله، قَرْيَةُ بَنِي فُلانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا في الإِسْلامِ، وَكُنْتُ أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا، أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَداً، وَقَدْ أصابهم شِدَّةٌ وَقَحْطٌ مِنَ الغَيْثِ، وَأَنَا أَخْشَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلامِ طَمَعاً كما دَخَلُوا فِيهِ طَمَعاً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُغِيثُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ، قالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إلى رَجُلٍ إلى جَانِبِهِ، أُرَاهُ عُمَرَ، فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا مُحمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْراً مَعْلُوماً مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلانٍ إلى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: «لا، يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنْ أَبِيعُكَ تَمْراً مَعْلُوماً إلى

---

٨١ مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

أَجَلِ كَذَا وَكَذَا، وَلا أُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَبَايَعَنِي، فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلى أَجَلِ كَذَا وَكَذا، قالَ: فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ، وقال: «اعْجَلْ عَلَيْهِمْ وَأَغِثْهُمْ بِهَا» قالَ زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، ونَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الجِنَازَةِ، دَنَا مِنْ جِدارٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلا تَقْضِينِي يَا مُحمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُم بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ بِمُطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قالَ: وَنَظَرْتُ إِلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كالفَلَكِ المُستَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، وقالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ما أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بالْحَقِّ لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَنْظُرُ إِلى عُمَرَ فِي سكُونٍ وتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قالَ: «إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلى غَيْرِ هذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يا عُمَرُ، فاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صاعاً مِنْ غَيْرِهِ مَكانَ مَا رُعْتَهُ» قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ، فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: ما هذِهِ الزِّيادَةِ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَزِيدَكَ مَكانَ ما رُعْتُكَ. فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا. فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَة . قَالَ: الحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الحَبْرُ،

قَالَ: فَمَا دَعاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ما قُلْتَ وتَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلْتَ. فقُلْتُ: يا عُمَرُ، كلُّ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا في وَجْهِ رَسولِ اللَّهِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الجَهْلِ عَلَيْهِ إلا حِلْماً، فَقَد اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قد رَضيتُ باللَّهِ رَبّاً، وبالإِسلامِ دِيناً، وَبِمُحمَّدٍ نَبِيّاً، وَأُشْهِدُكَ أنَّ شَطْرَ مَالي - فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالا - صَدَقَةٌ على أُمَّةِ مُحمَّدٍ }[٨٢]

الأسوة الحسنة

ما أحوج الأمة جميعها إلى أخلاق رسول الله الآن، لو عملنا يا جماعة المؤمنين بقول الرحمن لنا:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]

لو تأسينا برسول الله فى:

- لغة الخطاب.
- وفى لغة التعامل فى المنزل مع الزوجة والأولاد.
- وفى لغة التعامل مع الجيران.

---

٨٢ صحيح بن حبان

- وفى البيع والشراء فى الأسواق.
- وفى لغة التعامل حتى مع الأعداء.

لن يكون بين المسلمين مشكلة واحدة لا فى مـــترل ولا مجتمـــع ولا عمل ولا فى سوق، لأنه لن ينهى هذه المشاكل إلا الأخلاق النورانية الـــتى كان عليها خير البرية ﷺ.

ولذلك لما تولى سيدنا أبو بكر الخلافة عَيَّنَ قاضياً للمســـلمين وهـــو سيدنا عمر – قاضياً واحداً لكل المسلمين فى دائرة واحدة!! ومجلس القضاء فى مسجد رسول الله، وليس معه كتبة ولا محامين، ولا جهاز مـــن أجهـــزة القضاء الموجودة الآن! وكان الراتب يُدفع من بيت المال فى كل عام مـــرة، وبعد عام أراد أبوبكر أن يدفع الراتب للقاضى عمر، فقـــال لـــه: أنـــا لا أستحقه لأنه لم تُعرض علىَّ قضية واحدة طوال العام، فقال له كيف؟! قال: { إن قوماً آمنوا بربهم، واتبعوا نبيهم، وجعلوا كتاب الله حَكماً بينهم ... لا يحتاجون إلى قاضٍ بينهم }.

وهنا يأتى حديثٌ قصير من أحاديث البشير النذير ﷺ لو عملنا بـــه لحُلت كل مشاكلنا على مدار أى مكان أو زمان، قال ﷺ:

{ لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[٨٣]

لو طبق المسلمون هذا فإنه لن يحدث بينهم مشكلة!، لأنى لن أرضى لجارى بما لا أرتضيه لنفسى، ولن أرضاه لزميلى فى العمل، ولـــن أرضـــاه للتاجر فى السوق، ولن أرضاه لأى أحد من المسلمين.

٨٣ الصحيحين البخارى ومسلم عن أنس ﷺ

وهذا هو أساس الإسلام وهو التأسى برسول الله ﷺ .. والتخلق بأخلاقه، فليس التأسى به فى ظاهر العبادات وفقط أو فى الشكليات!!

{ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةً تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا، قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ }[٨٤]

مع صلاتها وصيامها هى فى النار!! كيف؟ ... نعم! لأن العبادة أدخلتها من الباب وأخرجها أذها لجيرانها من الباب الآخر إلى النار، أما باب العبادة الأعظم الذى يحفظ معه العبد من النار ويرقيه العزيز الغفار..هو : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت٤٥]، إذا لم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر فتكون كما قال الحبيب ﷺ: { مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إِلاَّ بُعْداً }[٨٥].

فديننا ليس دين عبادات ظاهرة أو شكليات فقط، وإنما العبادات مع الأخلاق مع المعاملات لابد منهم جميعاً لأن ديننا دين الكمال، فلا يجب أن نأخذ جانباً ونترك بقية الجوانب، بل نأخذ كل الجوانب حتى نكون متبعين لرسول الله ﷺ، وسائرين على هداه.

وأعظم ثمار العبادات الأخلاق الكريمة !!فإذا لم تؤدِ العبادات إلى الأخلاق الكريمة فهى ليست مقبولة عند الله ﷻ، لأنه لو قُبلت العبادات لتغيرت العادات والأخلاق والمعاملات وصارت تبعا لكتاب الله وسنة حبيب الله ومصطفاه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٨٤ (ابن النَّجَّار). [جامع الأحاديث والمراسيل] عن أَبي هُريرةَ ﷺ وتكملة الحديث: { قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةً تُصَلي المَكْتُوبَةَ، وَتَصَّدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا، قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ}

٨٥ رواه الطبراني في الكبير

- حب المقربين
- دلائل الأحبة
- مقامات الولاية العظمى
- المتابعة الرافعة
- جمال العبودية

فى رحاب الحبيب ﷺ[٨٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كمال الإصطفاء لنا، حتى صرنا من أُمة حبيبه ومصطفاه ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ ﴾ [الحجرات].

والصلاة والسلام على إمام المصطفين الأخيار، وسيد أهل الدنيا والإمام الأعظم لجميع الخلق يوم القرار، سيدنا محمد وآله الأخيار، وصحابته الأبرار، وكل من تابعه على هذا الهدى إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يارب العالمين.

وصية بسيطة أوصى بها نفسى أولاً وإخوانى أجمعين:

يقول الإمام ابن القيم رحمة الله عليه:

{ إن فى القلب طاقة لا يسدها إلا حبُّ رسول الله ﷺ }

جعل الله ﷻ فى قلب كل مؤمن طاقة لا تُسد إلا بحب رسول الله، فمن بددها فى حب الدنيا والأهواء والشهوات والحظوظ والملذات تعب فى دنياه وكان غير موفق فى أُخراه لأنه يدخل فى قول الله:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ ﴾ [الزخرف]

وذِكْر الرحمن فى الحقيقة هو رسول الله ﷺ لأن الله يقول فى كتابه:

---

٨٦ كانت هذه المحاضرة بالإسكندرية بتاريخ ٢٥ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ١١ من مارس ٢٠١٠م.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ ﴾ [الجمعة:٩]

أى المذكِّر الذى يذكركم بالله وهو سيدنا رسول الله ﷺ، فلم يقل الله: (فاسعوا إلى الصلاة) وإنما قال: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

فذِكْر الله فى الحقيقة هو سيدنا رسول الله ﷺ لأنه هو المذكِّر الذى يذكرنا بالله وبأيام الله، ويذكرنا بما علينا نحو الله، وبالأيام التى نحن مقبلون عليها من أيام البرزخ والآخرة والسعادة الأبدية فى جوار الله جل فى علاه، هذا المُذكر لابد أن يكون له النصيب الأعظم فى القلوب.

حب المقربين

وقد حكم ﷺ – وحكمه نافذ – أنه لا يتمُّ الإيمان إلا إذا كان هذا الحب الموجود لحضرته فى قلوبنا أغلى عندنا وأنفس من نفوسنا ومالنا وأولادنا وكل شئ لنا أو حولنا، وقد قال ﷺ فى ذلك:

{ لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[٨٧]

ولا يؤمن هنا معناها لا يؤمن الإيمان الكامل، وقال رسول الله ﷺ يوما لسيدنا عمر وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ:

---

٨٧ صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ

{ أَتُحِبُّني يَا عُمَر؟ قَالَ: لأنْتَ أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ كُل شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ النّبيُّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النّبيُّ: الآنَ يَا عُمَرُ }[٨٨].

أى الآن قد وصلت إلى تمام الإيمان.

وتمام الإيمان يصل إليه الإنسان إذا كان حب النبى العدنان ﷺ كما وصفنا أغلى عليه من كل غالى فى هذه الدنيا، وقد ذكر الله ﷻ ما يشغل الإنسان فى دنياه فى آية عظيمة قال فيها:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ [التوبة: ٢٤]

أى لابد وأن يكون حب رسول الله ﷺ وحب الله ﷻ أغلى من كل ذلك، وحب رسول الله ﷺ سره قال فيه ﷺ:

{ أَحِبُّوا اللّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي }[٨٩]

---

٨٨ عن أَبي عقيلٍ ، عن جَدهِ، (كر) جامع المسانيد والمراسيل

٨٩ سنن الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما

فحب رسول الله ﷺ بالزينة التى زيَّنه بها الله، والأخلاق الكريمة التى جمَّله بها مولاه، والمنن العظمى التى لا تُعد ولا تحد والتى أفاضها عليه مولاه جل فى علاه، فحبه فى الحقيقة هو حب لله، وذلك لأننا نحب الأوصاف التى جمَّله بها الله، والمنن التى أكرمه بها الله، والكمالات التى كمَّله بها مولاه، إذاً حبه فى الحقيقة حب لله ﷻ، لأن لله المنَّة فى الأولى وفى الآخرة.

دلائل الأحبة

هذا الحب يا أحبابى لابد أن ينمو ويزيد حتى يصل الإنسان إلى كمال الإيمان، .. فما الدليل على كمال الإيمان: .. الدليل ياإخوانى أن يأتيه النبى العدنان ليبشره بأنه قد استكمل الإيمان، فرؤية النبى ﷺ هى البرهان لأهل الإيمان على استكمال الإيمان وعلى بلوغ الإنسان تمام الإيمان.

إما إذا كانت رؤية رسول الله والإنسان على حال غير مرضية لله، فرؤية رسول الله فى هذه الحالة هى رؤية هنا منبهة ومذكرة للإنسان لأنه فى حالة معصية أو سهو أو غفلة، ولكن مثل هذا الإنسان يكون له نصيب من تمام الإيمان مادام أن الذى نبَّهه وأيقظه وأخذ بيده هو رسول الله، وهذا دليل على أنه سيبلغ كمال الإيمان إن شاء الله.

فإذا رأى الإنسان رسول الله ﷺ كان ذلك دليل على كمال الإيمان، ولذلك كان من وظيفته التى ذكرها الله فى القرآن:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب]

وتبشير المؤمنين لم يحدده الله بأنهم المؤمنين فى زمانه وفى عصره وأوانه، ولكن المؤمنين إلى يوم الدين، يبشرهم رسول الله ﷺ بكمال الإيمان.

وقد يتحمل الرجل منا هذا المقام ويبشره حضرة النبى ﷺ فى المنام وهو بيننا يمشى ويسعى على الأقدام.

وقد يتحمل الرجل مقاماً أعظم من ذلك، فبعد أن يكرمه النبى ﷺ برؤياه فى المنام يلوح له فى العيان، ولكن ذلك لصنف مخصوص خصهم الله ﷻ بالصفاء الكبير !!!!

وأذكر فى هذا المقام سيدى إبراهيم المتبولى ﷺ – وكان من أهل الجذب الشديد، وكانت أمه من الصالحات – وقد حكى لها ما رآه عن رسول الله ﷺ فى المنام .. فماذا قالت له؟ .. اسمعوا .. قالت له:

{ يا بنى لا تبلغ مقام الرجولية حتى ترى رسول الله ﷺ فى اليقظة وليس فى المنام.!! }

فما زال يتعرض لفضل الله، حتى رآه ﷺ فى اليقظة .. عياناً بياناً، فقالت له أمه عندها:

{ الآن قد بلغت مقام الرجولية }

ولا أقول يجد ويكد ويسعى ... لأن هذا مقام لا يُنال بالجد ولا بالسعى ولا بالكد، ولكنه فضل من الله، والله ذو فضل عظيم.

وإنما كل ما عليك أن تتعرض لفضل الله، والتعرض لفضل الله يكون

كما قلنا آنفاً – ونعيد بإيجاز لأن هذا الأمر يضل فيه الكثيرون يقولون نوالها بالفضل وليس بالجد أو الكد فيتكاسلون وينامون وينتظرون فضل الله والسمء لا تمطر ذهباً ولا فضة ولكن نوالها بالتعرَّض لسحائب الفضل الهاطلة من سماوات الكرم الربانى والفيض الإلهى:

فالتعرض لفضل الله يكون بوضوح :

..... بتطهير السريرة وتنقية البصيرة .....

حتى تصلح لنزول هذه الأنوار المضيئة، فإن رسول الله ﷺ :

- لا يحلُّ فى قلب فيه عيب .....
- ولا يحلُّ فى روح عبد تعلقت بالفانى.
- ولكن يحل فى القلوب التى خلت من العيوب.
- ويحل فى الأرواح التى تعلقت بطلعة المنعم الفتاح ﷻ.

هل هناك وضوح أكثر من ذلك! إذاً ... التعرض هو أن أطهِّر السريرة ...وأطهِّر القلب وأجعله صالحاً لهذه الأنوار.

ونوال الطهارة الكلية على الله ... ، لكن الله ﷻ لا يرجو منا إلا النيَّة، والبداية .... النيَّة والبداية ....النيَّة والبداية:

{ إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات }[٩٠]

المهم أن ينوى الإنسان نيَّة صادقة، وبعد النيَّة الصادقة عليه أن يبدأ،

---

٩٠ صحيح البخارى عن عمر بن الخطاب ﷺ ونص الحديث: «إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إِلى دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إِلى ما هاجَرَ إِلَيه»

والباقى يكمله الله ﷻ، ويكفينا فرحاً وفخراً وتيهاً وشرفاً قول الله جل فى علاه فى الحديث القدسى:

{ إذا تقرَّب العبد إليّ شبراً تقرَّبتُ إليه ذِراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقرَّبتُ منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيتُهُ هَرْوَلَةً }[٩١]

كل ما فى الأمر أن تنوى وتبدأ وتستمر وتداوم!! ولا تكسل فتفتر فتتوقف وربما أوشك الفضل أن يتنزل إليك ! ولكن النفس تثبط همتك زتقول لم يأتك شيئٌ ولن يأتك فتعود أدراجك من حيث بدأت!!!

فالله ﷻ لا يبادئ الكسالى !! .. ولا يبادئ القاعدين، لكن يبادئ المتذكرين والحاضرين والمتنبهين والمواصلين ... البادئين بداية جد وإيقان رغبة فى الوصول إلى رضاء الكريم الحنان وإلى كمال معرفة رسول الله ﷺ.

وكمال معرفة رسول الله ﷺ ياإخوانى القراء هو بداية الولاية الخاصة، ولا أقول الولاية العامة ... لماذا؟ ...لأن المسلمين أجمعين فى مقام الولاية العامة، فكل مسلم يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) له نصيب فى الولاية العامة، لكن الولاية الخاصة بدايتها أن يتعرف الإنسان المعرفة الكاملة لرسول الله ﷺ.

وقد ذهب رجل إلى سيدى أبى الفتح الواسطى فى العراق... وقال: يا سيدى: أريد أن أتربَّى على يديك، فنظر الشيخ إلى الأرض وأطال !، ثم رفع رأسه وقال: أنت لست تلميذى وإنما تلميذ أخى عبد الرحيم القنائى فى قنا فى بلاد مصر – وكانوا صادقين ... لا يريدون جمع مريدين !! وإنما

---

٩١ صحيح البخارى عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ

يريدون القيام بالكشف الذى سلمه لهم سيد الأولين والآخرين، وهذا يكفيهم عند الله ﷻ لأن الله أقامهم فى هذا المقام.

فسعى الرجل حتى جاء إلى قنا فى صعيد مصر، ولما وصل إلى سيدى عبد الرحيم القنائى ﷺ – وكان سيدى عبد الرحيم من أصحاب الأحوال الخاصة إذ كان يقول:

{ لى مع رسول الله ﷺ ليلتان كلَّ أسبوع، يأتينى ليلة الإثنين وليلة الجمعة فأعرض عليه كلَّ ما استشكل علىَّ من الأسئلة فيجيبنى عنها جميعاً ﷺ}.

وقد ذكر ﷺ هذه الأسئلة فى كتاب مخطوط – نسأل الله ﷻ أن يُخرجه للنور قريباً إن شاء الله رب العالمين – فلما وصل إليه مريده قال له:

يا بنى هل عرفت رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية؟ قال: لا! .. قال: فاذهب إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية.

فرجع المريد بلا تكاسل ولا تململ وبعزيمة وإصرار إلى بيت المقدس – من قنا إلى القدس ولم يراجع شيخه بكلمة واحدة– ورجع متعرِّضاً لفضل مولاه، وفى ذات يوم، نام هناك تحت الصخرة – والموجودة الآن بأسفل القبة المعروفة بقبة الصخرة[٩٢]، وهى الصخرة التى تعلقت بقدم النبى عندما كان عارجاً إلى السماء فأشار إليها فوقفت بين السماء والأرض لا يسندها شئ حتى بنى تحتها اليهود الأعمدة ليخفوا تلك المعجزة عن الأبصار– قال:

٩٢ مسجد قبة الصخرة هى التى نشر اليهود صوره المشهورة من الخارج على أنها صور المسجد الأقصى ليلفتوا المسلمين عن المسجد الأقصى، وهذا خطأ بدأ الناس فى تداركه مؤخراً، فمسجد بيت المقدس أو المسجد الأقصى يقع بجوار مسجد قبة الصخرة، والمنطقة كلها تسمى بيت المقدس وبها مئات الآثار.

فرأيت رسول الله ﷺ نوراً وقد أخذ هذا النور يتسع حتى ملأ ما بين السماء والأرض، فلما أن كان ذلك ... وبعد هذه الرؤيا .... رجع إلى شيخه ﷺ فى قنا بصعيد مصر، فقال: يا بنى هل عرفت رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية؟ قال: نعم، قال: إذاً نبدأ معاً السير إلى الله ﷻ.

إذاً فبداية السير والسلوك لخاصة الصالحين:

هى رؤية رسول الله ﷺ، لماذا؟ ... لأن الطريق إلى الله ﷻ طريق باطنى !!، وإن شئت قلت طريق معنوى..!!، وإن شئت قلت طريق خفى !! لا يطلع عليه إلا كل صفى ..!!

إذ إلى أين تمشى؟ فإن الله ﷻ لا تحيزه جهات ولا تشير إليه عبارات، ومن أين تمشى؟ وما محطة السفر؟ وما محطة الوصول؟ وما بين ذلك؟ وما العقبات التى تواجهك فى خلال ذلك؟

لا يطلع على ذلك إلا من سلك هذا السبيل، والذى يقول فيه الله ﷻ وهو نعم الدليل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا ﴾ ﷺ ﴿ صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام:١٥٣] ولذلك لم يقل فامشوا عليه لو كان معناه الطريق المعروف!

وقد قال الله ﷻ فى هذا الشأن: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف] ورحمة اسم مؤنث فى اللغة، ولكن الله فاجأنا وأدهشنا فقال ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فلم يقل "قريبة" ولكن قريب ﷺ من المحسنين الذين بلغوا مقام الإحسان؛ فقريب بالمذكر أى هو رسول الله ﷺ، وهو قريب من المحسنين.

ولكى يمشى الإنسان إلى طريق الفتح الإلهى وطريق الغيب النورانى؛ لابد وأن يأتم بالنبى وأن يأخذ النبى ﷺ بيده ليسلك به فى هذه الغيوب وإلا

فإنه سيتعثر من أول خطوة فى الطريق، ولن يستطيع أن يصل إلى أى شئ، وإنما سيقف مع حظه وهواه، فكانت رؤية رسول الله ﷺ للمحققين هى بداية السير والسلوك إلى الفتح الإلهى النورانى من ربِّ العالمين ﷻ.

أما أهل الولاية العامة فإنهم ربما لا يستطيعون الوصول إلى هذا المقام، ولكنهم إذا أحبوا بإخلاص حضرة النبى فإن الله يوافيهم بالنبى عند خروجهم من الدنيا ودخولهم إلى البرزخ فيشهدونه ﷺ عند الختام، فيكون ختامهم مسك، ويختم الله ﷻ لهم بخير، ويكون النبى ﷺ هو المعنى بقول الله:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [٢٧إبراهيم].

وحبُّ رسول الله ﷺ يا إخوانى عند أهل التحقيق فى الطريق يعنى الإنشغال بكمالات حضرته وليس إنشغال العوام عندما يتغنون هياماً بالمصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ولا يستحضرون بقلوبهم أوصافه وجمالاته وكمالاته التى جمله بها الملك العلام، لكن حقيقة الحب للنبى يجعل الإنسان الصادق منا يستحضر الجمالات التى جمل الله بها النبى ويحاول جاهداً أن يتجمل بها فى نفسه وهذا هو سر بلوغ مقام الولاية العظمى.

❁ مقامات الولاية العظمى

وبلوغ مقام الولاية العظمى ليس بالعبادات لأن ذلك مقام العُبَّاد، والعُبَّاد لهم أجرهم يوم القيامة عند الله، ويزيدهم الله أضعافاً مضاعفة فى جنات النعيم، لكن بلوغ المراد أن يبلغ الإنسان مقام:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [٣٢فاطر]

وراثة الكتاب، أو أن يبلغ الإنسان مقام يُعلِّمه فيه ملك الإلهام:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [٦٥الكهف]

أو يبلغ الإنسان مقاماً أعلى لا يصل إليه ملك الإلهام، بل يُعلِّمه الله فوراً:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢البقرة]

أو يصل الإنسان إلى مقام البصيرة النورانية وراثةً للحضرة المحمدية سر قوله:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [١٠٨يوسف]

ولم يقل "أنا ومن آمن بى"!!.. لماذا؟

لأن هناك فرق بين من آمن بى وبين من اتبعنى!! ، فاتبعنى مقام خاصة الخاصة، وآمن بى هو مقام العامة، ولذلك يقول الله ﷻ للخاصة :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [٣١آل عمران]

والمتابعة لابد أن تكون متابعة جامعة، فإن المتابعة فى المظهر والشكل متابعة ناقصة لأنها فى المظاهر، لكن المتابعة فى المظهر العام تكون فى العبادات والأخلاق والمعاملات، والمتابعة الخاصة تكون فى تقلب القلب وفى حركات النفس، ولذلك يقول قائل من الصالحين عندما سُئل عن سهو رسول الله ﷺ فى الصلاة: لِمَ سهى فى الصلاة؟! مع أنه قال فى الحديث:

{ لست أَنْسَىٰ ولكن أُنَسَّىٰ لأَسنَّ }[٩٣]

وإلا كيف كنا نعلم هذه التشريعات العظيمة فى السهو وغيره، فسُئل الرجل الصالح :كيف سهى رسول الله فى الصلاة! مع أننا نعلم أنه تنام عينه وقلبه لا ينام عن ذكر مولاه ﷻ؟ فقال الرجل:

يا سائلى عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شئ سره فسها عما سوى الله فالتنزيه لله

والمعنى أنه ﷺ قد استغرق فى جلال الله وكوشف بجمال مولاه فأُخذ فى هذا الجمال عن نفسه وعن حسه ليحصل له السهو الذى نراه فى الصلاة! ليسن لنا ويشرِّع لنا كيفية قضاء السهو إذا سهونا فى الصلاة!! لكن شتان بين هذا وذاك، لأن هذا سهو نعلمه جميعاً، أما سهو رسول الله فهو سهو عن الدنيا والمشاغل والأكوان، شغلاً كليًّا بحضرة الرحمن ﷻ.

المتابعة الرافعة

ولذلك فإن المتابعة الخاصة لخاصة الخاصة هى المتابعة القلبية فى الخوف والرجاء، وفى الإقبال على الله وفى الإخبات لله، وفى التواضع بين يدى الله، وفى الخشوع لجلال الله وكمال الله ... وهذه هى متابعة خاصة الصالحين، وهى متابعة لا يطلِّع عليها الخلق ولكن يراها وينظر إليها ويمنح بسببها الحق ﷻ، فإن الحق ﷻ عندما أعلى شأن الصلاة قال فيها:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [١-٢المؤمنون]

٩٣ شرح الزرقانى

إذاً المتابعة الأعظم لا تكون إلا فى الخشوع والخضوع والحضور بين يدى من يقول للشئ كن فيكون، وفيها يقول ﷺ لمن أراد أن يتبعها:

{ أنا أعلمكم بالله وأشدُّكم له خشية }[٩٤]

إذاً المتابعة فى هذا الباب فى الخشية ... أهذا واضح؟؟

فى الخشية! وليست فى العبادات! وليست متابعة فى العادات وليست متابعة فى السنن الظاهرات، ولكنها متابعة فى خشية الله ﷻ فى الغيب وفى الشهادة، وفيها يقول الإمام أبوالعزائم ﷺ:

ما غاب عنى حبيبى ... لكنه كلَّفنى
فصرت بعد يقينى ... بالفضل قد عرَّفنى
أنا بمن فى وجودى ... من بالصفا أتحفنى
تلك التكاليف رمز ... لَمَّا بها شرَّفنى

فيتابع رسول الله ﷺ فى ظاهره وفى باطنه،

أما متابعته ﷺ فى سيره نحو ربه ﷻ فإن هذا أمر لا يكفيه بيان ولا يستطيع أن يتحدث عنه لسان، وإنما يقول فيه أهل العيان: (ذق تعرف) !! وهذا مقام ذوقى لأن الأسرار لا يطلع عليها إلا من غاب عن سوى الله، وكان سرُّه باق بمولاه جلَّ فى علاه، وإجمالاً نقول أن رسول الله ﷺ كما قال سيدى أبو الحسن البكرى ﷺ:

وأنت باب الله أى امرئ ... أتاه من غيرك لا يدخل

---

٩٤ صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها

جمال العبودية

ولا يستطيع الإنسان أن يدخل على حضرة الله إلا بعد كمال معرفته برسول الله، وأزيد الأمر وضوحاً فأقول:إن الله ﷻ لا يُدخل حضرته إلا من تجمَّل بجمال العبودية، كيف نتجمل بجمال العبودية؟

إذا أردنا ذلك علينا أن ننظر إلى من جمَّله الله بكمال العبودية ، ونتأدب بآداب العبودية من حضرته، ونتابعه فى مسيرته.

وهذا هو الباب أن يجد العبد المتجمل! ويتابعه بالذهاب والإياب ... فإذا صار الإنسان منا عبداً لله متابعاً فى العبودية والآداب لحبيب الله ومصطفاه فُتح له الباب وأُذن له بدخول الرحاب وصار من الأحباب لأنه تابع رسول الله ﷺ فى هذا الباب بمتابعة ذلك العبد المناب من النبى الأواب.

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [١٩الجن]

من عبْدُ الله هنا؟ هو رسول الله:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [١الإسراء] ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [١الفرقان] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [١الكهف].

إذاً فثياب العبودية هى التى يلبسها أهل الوصول لنيل الخصوصية عند دخولهم الحضرات القدسية ... ولذلك يقول أبو الحسن الشاذلى ﷺ:

{ رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وقلت يا سيدى يا رسول الله أريد الوصل بحضرة الله، فقال: يا على: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ ﴾ [المدثر] طهر ثيابك من الدنس تحظى بمدد الله فى كل نَفَس، قال قلت يا رسول الله وما ثيابى؟ قال: طهر ثياب العبودية – وليست الثياب التى نلبسها – وتأدب بآداب أهل الخصوصية تحظى بالوصل بالكلية برب البرية ﷻ}.

وهذه هى مراتب الخاصة!! آداب خاصة يتابعون فيها رسول الله ﷺ ليحظوا بنفَس! أو بعض نفَس! أو بشميمٍ! أو بذرة !! ... مما حباه به مولاه والذى قال له فيه فى كتاب الله:

﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣٩ص]

فقال ﷺ فى خطابه لأولى الألباب كما ذكرنا سابقاً:{ اللهُ المعطِي وأنا القاسمُ }[٩٥]، فهو الذى يقَسِّم هذا العطاء من النور والضياء والصفاء والمكاشفات والمشاهدات والمؤانسات والملاطفات وغيرها من أنواع الغيوب العليات على حسب تأهيل العبد لنفسه فى مقامات العبودية لمولاه ﷻ، ولذلك قال أحد الصالحين:

وكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضى الموالى من مراد

إذاً فالأساس كله هو مقام العبدية، والإمام فى مقام العبدية هو سيد البرية ﷺ، فهناك عبدية! وهناك عبودية! وهناك عبودة!!

---

٩٥ صحيح البخارى عن معاوية ﷺ، ونص الحديث: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين، واللهُ المعطِي وأنا القاسمُ، ولا تزالُ هذهِ الأمَّة ظاهرينَ على مَن خالفَهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهرون»

وهى كلها مقامات جعلها الله ﷻ لأهل الوصل والإصطفاء ودرجات، منهم من يكون فى مقام المعية:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [١٢٨النحل]

ومنهم من يكون فى مقام العندية:

﴿ إِن ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [٢٠٦الأعراف].

ومنهم من يكون فى مقام اللدنية:

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [٦النمل]

أين جبريل هنا؟ ليس له فى هذا المقام قبيل ولا مقيل !!

فكل هذه المقامات لابد وأن يتابع الإنسان فيها سيدنا رسول الله ﷺ لأنه فاتح أبواب القرب ومعه مفاتيح كنوز الغيب، وآتاه الله ﷻ واصطفاه وعلَّمه ليُعَلِّمنا ويأخذ بأيدينا، ولذلك قال له: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٨الحجر] وذلك ليحملهم على جناحه فيصلوا بفضل الله إلى نور الوصل من حضرة الله.

وهنا لطيفة رائعة مفيدة أحب أن أضيفها قبل أن ننهى هذا الفصل الأخير بالكتاب، أو قل إشارة فى معنى المعية وكرم الحضرة المحمدية مناسبة لهذا المقام، وقد جاءتنا فى سؤال[٩٦] وجه إلينا إذ قال السائل بارك الله فيه:

---

٩٦ كان هذا السؤال بالمحاضرة بالإسكندرية بتاريخ ٢٥ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ١١ من مارس ٢٠١٠م.

أن سيدنا رسول الله قال مطمئناً لسيدنا أبى بكر وهما فى الغار أثناء الهجرة: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" وكان سيدنا أبوبكر ﷺ حزيناً بدليل أن النبى ﷺ قال له: "لا تحزن إن الله معنا" !، فما السرُّ فى ذلك اللبس! لأن المقام هنا مقام خوف وليس مقام حزن!!

وأجيب هنا :بأن سيدنا أبا بكر ﷺ لم يكن عندها خائفاً .. وإنما كان حزيناً من أجل رسول الله، لأنه لا يستطيع أن يفعل من أجله شيئاً – والحزن لا يكون إلا على الغير – بدليل إن الأولياء قال الله فى شأنهم:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس] فلا يخاف الواحد منهم على نفسه .. ولا يحزن على محبيه ومريديه الصادقين! لأن الله ﷻ سيُشَفعه فيهم ويأخذ بأيديهم معه إلى المقام الكريم.

إذاً سيدنا أبو بكر لم يكن يخشى على نفسه وإنما كان يخشى على رسول الله ﷺ، ولذلك قال له الحبيب: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] وهنا الإشارة الراقية التى أودُّ أن إلفت إليها قلوبكم وفيها يظهر المقام الأعظم لرسول الله وعطفه علينا وتنزله لنا .. وكيف يخفض جناحه للمؤمنين ليأخذهم معه إلى أعلى المقامات !!!...

فسيدنا موسى عليه السلام قال:﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [٦٢الشعراء]..يقول: ﴿ إِنَّ مَعِيَ ﴾ من؟ أنا وحدى ﴿ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ معى مقام الربوبية!!، لكنه ﷺ لما خاطب سيدنا أبا بكر ﷺ أدخلنا جميعاً أى أدخل كل الأمة المحمدية فى قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ مقام الألوهية، فنحن جميعاً فى هذا المقام.

فهنا تتجلى رحمة الحبيب وشفقة الحبيب وحنانه بنا لأن سيدنا موسى عندما قال: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ أسقط حتى أخاه هارون من حساباته، مع أنه

كان وزيره! وكان نبياً أيضا! أما رسول الله ﷺ فقد قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ وانظر إلى الفرق بين هذا وذاك!! فنحن أمة الحبيب فى مقام المعية الإلهيـــة: { ما ظنك باثنين الله ثالثهما }.[٩٧] .. فكانت النتيجة :

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة].

فنزلت عليه هو بذاته سكينة الله وتأييده ونصرته ...

ثم منه ﷺ توزعت تلك السكينة والعطايا والهبات إلى من معه فى تلك المعية .... وكل من هو فى معيته ... أو إندرج تحت لواء أمته ... معرضـــاً نفسه لفضل الله وبركته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!

وصلى الله على سيدنا محمد الشفوق الرءوف الرحيم بأمته ..

وعلى آله الأبرار وصحبه الأطهار وكل من تابعهم واقتفى أثـــرهم وسار على دربهم فى هذا المضمار .....

وسلم تسليما كثيرا إلى يوم العرض والقرار.

إنتهى الكتاب تذكرة لأولى الألباب وكل عبد أوا ب نوى بصدق دخول الباب! والله المستعان على بلوغ الرحاب ... والصلاة والسلام على شفيع كل تواب.

---

٩٧ صحيح البخارى

ترجمة المؤلف العارف بالله تعالى الشيخ فوزى محمد أبوزيد

نبذة: ولد سماحة العارف بالله الشيخ فوزى محمد ابوزيد ﷺ فى الثامن عشر من شهر أكتوبر١٩٤٨م ،الموافق للخامس عشر من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام، وله الكثير من التسجيلات الصوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت WWW.Fawzyabuzeid.com والذى تم افتتاحه بعد التطوير وأصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت.

دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ رضى الله عنه

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.، ٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى.٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى.، ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : الدين والحياة

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢. ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم. ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب. ١٠- فتاوى جامعة للشباب. ١١- مفاتح الفرج (٧ط) (ترجم للأندونسية).١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية). ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام.١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية).١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (يترجم للأندونيسية).١٦- المؤمنات القانتات ١٧- فتاوى جامعة للنساء. ١٨- قضايا الشباب المعاصر. ١٩- زاد الحاج و المعتمر (٢ط)

الخطب الإلهامية: مج١: المناسبات الدينية :٢ط مجزأة ومجلد

٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك.

٢٤- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك. ٢٥- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء. ٢٦- الخطب الإلهامية :مج١ :المناسبات الدينية ط٢،كتاب واحد

ثالثا : الحقيقة المحمدية

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة. ٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)، ج٢. ٣١- الكمالات المحمدية ٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول (ترجم للإنجليزية).٣٣-السراج المنير.

رابعا : الطريق إلى الله

٣٤- أذكار الأبرار. ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة. ٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٧- رسالة الصالحين. ٣٨- مراقي الصالحين. ٣٩- طريق المحبوبين و أذواقهم. ٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤١- نيل التهاني بالورد القرآني.٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب في يوم عاشوراء للإمام القاوقجي (تحقيق).، ٤٣- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية).٤٤- نوافل المقربين.

خامسا: دراسات صوفية معاصرة

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٦- الصفاء والأصفياء. ٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب.، ٤٨- الصوفية في القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية). ٤٩- المنهج الصوفي والحياة العصرية. ٥٠- الولاية والأولياء. ٥١- موازين الصادقين. ٥٢- الفتح العرفاني. ٥٣- النفس وصفها وتزكيتها.٥٤- سياحة العارفين.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور

٥٥- مختصر مفاتح الفرج (٣ط). ٥٦- أذكار الأبرار (٢ط). ٥٧- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).(٢ط)، ٥٨- علاج الرزاق لعلل

الأرزاق (ط٢).٥٩- بشائر المؤمن عند الموت.٦٠ - أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام، ٦١- مختصر زاد الحاج والمعتمر.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

١ – بشائر المؤمن فى الآخرة، ٢-نسمات القرب، ٣- أحسن القول، ٤- منهاج الواصلين،٥- طريق الصديقين إلى رضوان ربِّ العالمين (ط٢)، ٦- أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (ط٢)، ٧- حقائق التصوُّف النقيّ.

تطلب جميع المؤلفات من المكتبات الكبرى بالقاهرة والأقاليم، ودور توزيع الأهرام والأخبار ودار الشعب ودار المعارف والهيئة المصرية العامة للكتاب ، كما يمكن تنزيل الكتب من **WWW.askzad.com**، *أو تطلب من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ المعادي بالقاهرة ، ت: ٠٠٢٠٢٢٥٢٥٢١٤٠*

****

مفتاح إختصار أسماء كتب تخريج الحديث النبوى الشريف كما ورد بالجامع الصغير نقلاً عن كنز العمال

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (٥) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

محتويات الكتاب

سجل الفهرسة	٢	المقدمة	٣

الفصل الأول: بَشريَّةُ النبى ﷺ النورانية

بشرية النبى النورانية	٦	خصوصية عَرَقه ﷺ	٢٣
قضية بشريته ﷺ	٧	سمعه الشريف ﷺ	٢٦
نورانية بشريته ﷺ	١٢	صوته المبارك ﷺ	٢٨
حفظ الله لمقام نبيه ﷺ	١٧	واجبنا نحو الرسول ﷺ	٢٩
بركة ريقه الشريف ﷺ	١٩	مقام العبودية لذات الله ﷻ	٣٠

الفصل الثانى: نعمة ميلاد رسول الله ﷺ

نعمة الميلاد	٣٨	بشارات وإكرامات	٤٣
أسرار الذكرى	٣٩	بركة الصلاة على رسول الله ﷺ	٤٦
أفراح الروح	٤١	من مهام النبى ﷺ	٤٨

الفصل الثالث: نور الصلاة على النبى ﷺ

نور الصلاة على النبى	٥٥	صلاة الصلة للمؤمنين	٥٩
صلاة الله على نبيه ﷺ	٥٧	أنوار الجمال	٦٢

الفصل الرابع: بشريات لأهل العنايات

بشريات لأهل العنايات	٦٩	أهل الفضل	٧٢
بشائر المؤمنين	٧١	التعرض لفضل الله	٧٣

الفصل الخامس: وصف رسول الله ﷺ

وصف رسول الله ﷺ	٨٢	وصف رسول الله ﷺ البشرى	٩٣
صور الحبيب ﷺ	٨٣	أوصافه المعنوية	٩٦
وبالحق أنزلناه وبالحق نزل	٨٥	الأسوة الحسنة	١٠١
البحث عمن رأى الحبيب!	٨٧		

الفصل السادس: فى رحاب الحبيب ﷺ

فى رحاب الحبيب	١٠	مقامات الولاية العظمى	١١٤
حب المقربين	١٠	المتابعة الرافعة	١١٦
دلائل الأحبة	١٠	جمال العبودية	١١٨

الخاتمة

ترجمة الشيخ المؤلف	١٢	مفتاح إسماء مراجع الحديث	١٢
قائمة مؤلفاته الشيخ ﷺ	١٢	محتويات الكتاب	١٢

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سماحة العارف بالله

الشيخ فوزى محمد أبوزيد رضي الله عنه

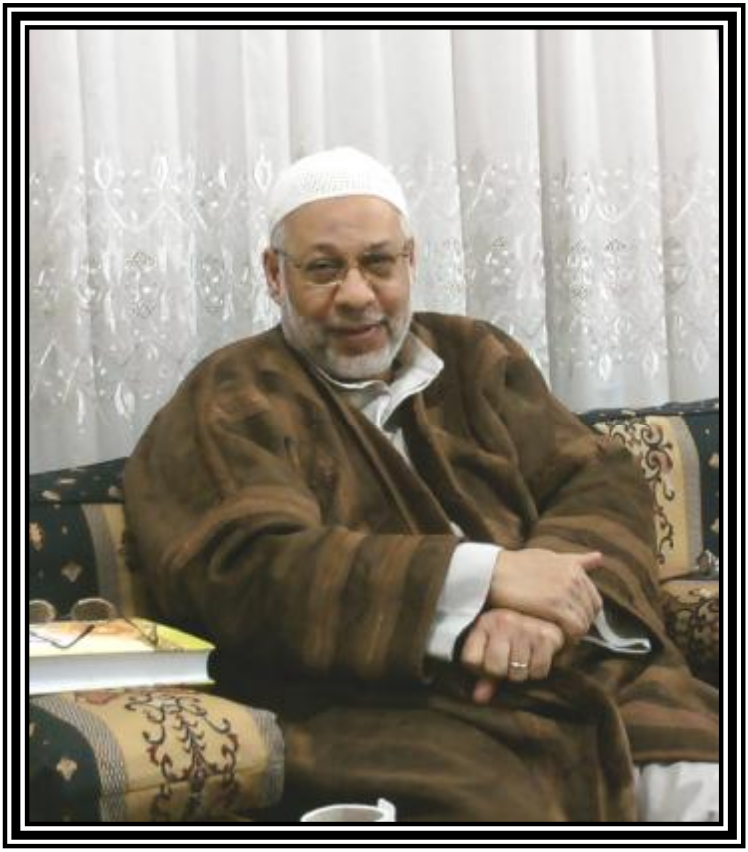

من مؤلفات العارف بالله تعالى
الشيخ فوزى محمد أبوزيد

سلسلة
الحقيقة المحمدية

دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادى - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهرة
القائمة الكاملة لمؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبو زيد بداخل الكتاب